# دفعة التابلت

عبد الرحمن سيد خلف

أدباء 2000 للنشر والتوزيع
ODABAA Publishing & Distribution

- اسم الكتاب: دفعة التابلت
- تأليـــــــــف: عبد الرحمن سيد خلف
- رقم الإيـــداع : 2022/29163
- الترقيـــم الدولي : I.S.B.N: 978-977-6721-49-4
- الناشـــــــــر: دار أدباء للنشر والتوزيع ٢٠٢٣م
- تصميم الغلاف: عبد الرحمن ناصر
- تدقيق لغـــوي: دينا رمضان
- تنسيق داخــلي: ابن بشار

**الطبعة الأولى ٢٠٢٣م**

**حقوق الطبع محفوظة للناشر**

- حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة، لدار أدباء ٢٠٠٠ للنشـر والتوزيع، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويلـه رقميـاً أو إتاحتـه عبـر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من الناشر والمؤلف.

---

**يطلب من**

**الناشر**

**أدباء ٢٠٠٠ للنشر والتوزيع**

**العنوان**

**أدباء: ٨ ش محمد وهبه – فيصل – الجيزة**

E-Mail: odabaa2000@gmail.com

**فيسبوك: أدباء ٢٠٠٠ للنشر والتوزيع**

**موبايل: ٠١٠٩٩٦٥٤٧١٨**

بسم الله الرحمن الرحيم

# إهداء

إلى قلبي الخفّاقِ بين أضلعي، والنور الذي يُجلي الدجى من دَربي.. إلى فائحة الشذى، ومانحة الضيا.. إلى من يستنير القمر بحفنة من سناها ، وتستمدّ الزهور نفحة من شذاها..

إلى غاليتي التي حملتني على ظهرها تدُلني على القِمّة وتُآزِرُ فيّ أساطيل الهمة .. إلى ربّة الحنان وحُلّة الأكوان :

## أمّي

ما إطراءٌ في كتابٍ يساوي من حقّكِ عليّ ولو ذرّة، فقليلٌ منكِ لا تستطيعُ بلوغه سائرُ النساء، ولا الخليقة جمعاء .. فعساي أبلغُ شطر ذرة مما جادَت به سواعدُك، أو هطلت به يمناك، والشطرُ كثير..

إهداء مني إليكِ وأنتِ أكثرُ قُربًا من نفسي إليّ..

دفعة التابلت

عبدالرحمن سيد خلف

# المقدّمة

بســم الله رب العــرش العظـيم، والصــلاة والســلام عــلى حبيبنــا وسيدنا وقدوتنا رسول الله – ﷺ– النبي الكريم..

**«وثلثتُ أنّ الحمد لله دائمًا          وما ليس مبدوءًا به أجذم العلا»**

**وبعد؛**

أرى كلَّ ركن من أركان الكون يرمُقُني ويحدّق بـي.. يهمـسُ إليّ في خفاء «أحَقًّا ستصمُت؟!»

بداخلِ جسدي نفسٌ، أبت إلا الظهـور والمكـوث عـلى وجنتـي الشمس حَاكيَةً للكون بأسره أحداثًا ثقُلَت عـلى ظهرهـا ولم تسـتطع حملها.. فما كان منها إلا أن ألقتها على وُرَيقاتها الصغيرة بحبر مكسُوّ بأصباغ السخرية.

« دُفعة التابلت »

أطلقتُها علينا.. على كلِّ من عاصَرَ حقبتنا وسمعَ قصّتنا، على كـلِّ من كان « التابلت » أمه وأباه، وسعده وهناه، وترَحه وشقاه..

على كلِّ مـن قـامَ يقفـز، يصـرُخُ ويـرقُص فرحًـا بفـوزه في لعبـة إلكترونية أو محاكاة واقعية.. على كلِّ من أُسدِل عليـه سـتارُ الحيـاة فلم يُرَ له لا ظلٌّ ولا جسَد.

أُطلقها علينا «نحن» الذين واجهوا ذلك الوحش الصغير الذي رأينا ألوان العالم عبر شاشاته، وسمعنا أصواته من خلال أذنيه..

« دُفعة التابلت»

ما هو التابلت ؟ ما هي المشكلة؟ ما هو الحل ؟

كلها أسئلة مملة لا تبحث عنها في هذا الكتاب؛ فهو للمرح فقط.. المرح ولا شيء غير ذلك.

قصدتُ عمدًا أن أُخضع الكلمات، وألوي أعناق الأحرف تحت سلطان القلم الساخر.. الذي لم يخذُل كاتبًا قطُّ في إيصال المراد والمقصود؛ فكان هو الحصان الأسود الذي تُصبغ به الألوان الداكنة فتُزهر وتلمع.

لم أستقصد أي أحد بكتاباتي، لا أساتذتي ولا غيرهم، بل إني أريد أن أخبرك أنّ تجربتي في التعليم كانت من أفضل ما يكون على الإطلاق!

ولكن كما تعلم، القلم هو السلطان، وقد قضى القلم أن يكون الحبر الذي يقطر منه ساخرًا وليس لي أي علاقة ولا دخلٍ بذلك..

النماذج الجيدة التي قابلناها في حياتنا كثيرة، ولكن لا تبحث عنها هنا.. فهنا كما قلتُ لك سابقًا، لا يوجد إلا المرح.

تنوّعـت المواقـف الحياتيـة، بـين الثانويـة والجامعـة والحيـاة الواقعية باختصار وإيجاز شديد، أما المكـان فأأسـف أني لم أسـتطع الخروج من سجن الحياة إلى عالم آخر، بل بقيـتُ مقيّـدًا بأغلالـه ولم أستطع مفارقة ظلال أصفاده.

والآن، سم الله، واخلع نعلي الحزن الذَيْن تطؤهما بقـدَميْك، وذَر ثوب البُؤس الذي تغطّي به جنبَيْك، وتعال معي، إلى حيثُ السـابعة، السابعةُ صباحًا!

# دفعة التابلت

عبد الرحمن سيد خلف

## السابعةُ صباحًا

ها هو الصباح قد حلَّ، وها هي الشمس تسدل الستار كاشفةً عن وجنتيهـا ومبشـرة بيـومٍ جديـد، يعـانق ضـوؤها ضـفاف شـرفتي، ويوقظني بتلك الرقة المتناهية، حتى يرن جرس المنبه لكي ينفضني من على السرير.

مرآة الحمّام دائمًا ما تغازلني وتتودد إليّ كل صباح، وتخبرني أنها تريد الزواج بي يومًا ما،«راشد،جمالك غير طبيعي، واو! حقا واو!».

أتخيل ذلك الخبر الذي سيذاع في الصحف يوما ما..

«عاجل: مختل عقليا يعلن الزواج من مرآة بعد قصة حب دامت ثلاثين ثانية والمرآة تصرّح: أريد الطلاق».

وأسأل نفسي كل يوم هذا السؤال: هل أنا الذي ورثتُ كـل هـذا الجمال عن يوسف -عليه السلام؟!أيُعقل؟

يجدر بي أن أقدم في مسـابقات الجمـال حـول العـالم! أضـحك للمرآة تلك الضحكة التي يضحكها المجـانين فاتحًـا فمـي بطريقـة بشعة، تشعرك أنني حمارٌ ينهق أو ربما كلبٌ يلهث على الأرجح!

ثم ما إن أخرج إلى المرآة التي في غرفة نومي حتى أُصـدمَ بـذلك العفريت البشع الذي ظهر في المرآة فجأة.. مهلًا! إنـه يُشـبهني. ثـم تناديني المرآة: «إنه أنت يا أحمق!».

وقفَت بعض الحبوب على خدي ترحب بي،ويخبرني قبطان الحبوب أن سفينتهم قد أبت إلا المكوثَ على خدي يومين أو ثلاثة.

ارتفعت في منتصف جبهتي عدة تلال وهضاب، صارت الطريق وعرة على أي مار من هناك، أصبح سكان تلك المنطقة الشاهقة في موقف لا يحسدون عليه.

وهذه حبتي المفضلة التي أسميها إفرست، تَشغلُ مكانًا رائعًا في تلك المنطقة،مركزَ الجبهة بالتحديد، كبيرةٌ جدا! لدرجة أنني أسميها الناطحة، ولكن ليست ناطحة سُحُب، بل ناطحة بشر، أنطح بها من يزعجني فأرديه قتيلًا أو أُصيبه بارتجاج في المخ على حسب الحاجة.

***

إنها السابعةُ صباحًا، وقت الذهاب إلى المدرسة للتعليب! -أعني التعليم-.

- «طلابَنا الأعزاء، أنتم تعلمون أننا أفضل مدرسة ثانوية في العالم على الإطلاق، لقد حصلنا على المراكز الأولى في تصنيف المدارس الثانوية العالمي -ولكن من الأسفل- يجب عليكم أن تحمدوا ربكم على نعمة وجودكم معنا هنا، غيركم يتمنى أن يبصق معلم من معلمينا في وجهه حتى! ولكننا لا نرضى؛ لكي نوفر بصق

المعلمين كي تتزين به وجوهكم أنـتم. يجـب أن تلزمـوا الصـمت، وليسعكم من الأدب نصـيب؛ لأننـا مدرسـة محترمـة، والمـدارس المحترمة لا تقبل إلا أن يكون طلابها محترمين مثلها».

تلك العنجهية التي يتحدث بها مدير المدرسة تشـعرني أنـه كـان قائدًا عسكريًا يومًا ما، بـل تشـعرني أن هـذه الثانويـة كانـت قاعـدةً عسكريةً فيها بعض الأسرى، الذين استُبدلوا فيما بعد بنا.

-«رااااااااشد! تحرك أيها الوغد إلى فصلك، ألا تفهم؟».

- «طلابي الأعزاء، أنتم تعلمون أننـي أحـبكم، وأعتبـركم مثـل أبنائي؛ لذلك يجب عليكم السمع والطاعـة، وطلـب الرضـا منـي؛ لأنني هنا من أملك الدرجات وليس أنتم، يجب أن تتعبوا لأجـل أن تتلقفوها مني وإلا صببت عليكم سيلًا من الواجبـات والاختبـارات التـي لـيس لهـا أول مـن آخـر، أعلـم أنكـم لا تريـدون الدراسـة، وبالمناسبة، أنا كذلك!

أنتم بالتأكيد تعرفون من هو أنا، أشهر معلم فيزياء في العـالم عـلى الإطلاق!

إن العلماء عندما يرونني قادمًا من بعيد يقفـون احترامًـا وتقـديرًا لي، ويقف الواحدُ منهم بين يدي خاضـعًا ذلـيلًا لكـي أعطيـه ورقـةً

واحدةً من علمي بأموال طائلة، وها أنتم هنا تأخذونها مجانا!

أنتم تعلمون بالطبع أنني حصلت على جائزة نوبل في الفيزياء النووية، ولكني لم أتسَلَّم الجائزة لأن أحدهم اتصل بي وأنا مستلقٍ على السرير فأيقظني من حفل تسليم الجائزة،سُحقًا!

هذا الشخص هو نفسه الذي اتصل بي عندما كان العلماء يقفون بين يدي خاضعين وكدت لأتسلم الشيك،ولكنه قاطع حلمي باتصاله السافل! لو رأيته لقتلته بالطبع، ولعلّقتُ رأسه علىباب غرفة المعلمين على الأرجح، لذلك لن أعطي أحدًا منكم رقم هاتفي، فلا يسألن أحدٌ عنه».

***

ابتسم، ها هنا أنت في المدرسة الثانوية..

أريدك أن تحبس أنفاسك وتُقبِلَ على العلم غير النافع، امنع الدمعة عن السقوط، استحضر روح طالب العلم وأحضر خبزًا أو ملعقةً إن شئت وكُلِ الكتب من سُكات.

هنا حيث تدرس أشياءَ لا علاقة لها بالواقع على الإطلاق، ولن تحصل أمامك يوما ما حتى!

-«أيّها الطلاب، كيف حالكم؟ أعرف حالكم جيدًا، طلاب!

كيف يكون حالهم؟

لا أريد الثرثرة معكم كثيرًا، افتحوا كتبكم على الموضوع الأول:

النباتات التي كانت تنمو منذ ٣٠٠ عام في دولة منغوليا.

هذا الدرس له أهمية بالغة جدًا يا طلابي الأعزاء، حيث لو سافرت إلى منغوليا يومًا ما، وركبت آلة الزمن التي لم تُخترع بعد، ولن تخترع! حتى لو حاولتُ أنا -شخصيًا- اختراعَها، ومن ثم رجعتَ ثلاثمائةَ عام إلى الوراء ولم تكن تعرف النباتات التي كانت تنمو لديهم، سيقول المنغوليّون لك كلاما لن تفهمه بالطبع لأنك لا تعرف اللغة المنغولية.

أعزائي الطلاب، سأعطيكم زبدة الموضوع: ضعوا بعض الكاتشب، وأسقِطوا بعض المايونيز على الكتاب وكلوه من سكات، لا أريد سماع تذمر أو تأفُّف، وأعدكم أن أكثر واحد سيأكل الكتاب منكم سنصفق له جميعا تصفيقا حارًا ونقول له: أحسنت يا شاطر».

**أنت هنا في المدرسة الثانوية:**

حيثُ اللحى الثعبانية غير المكتملة التي لا تنمو إلا في أراضينا الزراعية الفريدة، على سطوح ذقون طلابنا، وحيث الشارب الخفيف الذي إن رأيته على سِحنة أحدهم ستحسبُ أنه وسخ من

حبر أو ما شابه فـتَهُم بتنبيـه صـاحب الشـارب بغسـل ذلكالوسـخ، والغريب أنك كلما قابلت أحدهم، قعد يفرك لحيته التي بها ثـلاث شعرات في أقصى الشرق وخمسُ شعرات أخـرى في أقصـى الغـرب وشكى قائلًا: لحيتي تحيرني كثيرًا عندما أتوضأ للصلاة؛لا أسـتطيع إيصال الماء إلى جميع الشعر من كثافتها! أو ذاك الذي لديـه شـعرتان في جانب واحد من شاربه، إذا كلمته بضع كلمـات فقـط سـيحدّثك عن بطولات شاربه وقدرته على إظهار رجولته، ويبدأ بمسح شعرتَيْ شاربه قائلا: هل تعلم؟ لقد ولدتني أمي بهذا الشـارب، إننـي رَجـلٌ منذ كنت جنينًا.

هنا بالتأكيد-في الثانوية- ستسمع الأصوات الحـادة التـي تكـاد تتفجر أذنك عند سماعها، سترى الأطفال الذين يسكتهم المعلمون بكلمة «يا رجال»،الثيرانَ الهائجة التي يتنافس كل مـنهم عـلى طـرح الآخر أرضا في مصارعة يدعونها «المطارحة».

بالتأكيد ستُدهشك قصـات الشـعر اللولبيـة التـي تشـبه قصـات العَنز، وأشياء كثيرة من هذا القبيل.

***

-«أعزائي الطلاب، أخرجـوا أوراق العمـل التـي بهـا ١٠ آلاف مسألة وحلوها».

- «لم تشرح لنا شيئا يا علَّامتنا المبدع! هل يمكن أن نحلها سويا؟».

- «إذًا دعونا نحل المسألة الأولى سويّا:

ناتج اتحاد غاز الكلور والصوديوم هو؟

نعم بالتأكيد ناتج الاتحاد هو القوة، فالاتحاد قوة والفرقة ضعف يا طلابي..

ومن مكاني هنا أشيد بالاتحاد، اتحاد جدة، وأرى أنه استبسل في الدفاع عن المركز الأول الموسم الماضي، ولكن الهلال اقتنصه في آخر الدقائق!

لذلك يجب عليكم يا أبنائي أن لا تدعوا أحدًا يستغفلكم ويقتنص منكم الفوز في آخر الدقائق يا رفاق!

يجب عليكم أن تحذروا القاضية ممكن!».

- «ما حل السؤال يا أستاذ؟ ماذا نكتب هنا؟».

- «الحقيقة.. أنا شخصيا أرى أن اتحاد الكلور والصوديوم يدعم العلاقات الدبلوماسية التي تمر بها البلاد في العصر الراهن، لا أدري بماذا أثرثر، ولكنه كلام مهم جدًا ستُسألون عنه في الاختبار».

- «نعم، ما جواب السؤال الآن؟».

- «راشد، حبيبي! اقترب مني.. أنت تعلم أني لا أعرف الجواب، صحيح؟».

- «نعم.. أعلم».

- «ثلاث درجات وتسكت؟».

- «زدها قليلا بعد».

- «خمس درجات وتصمت؟».

- «ارفعها قليلا بعد».

- «عشر درجات وتقول الجواب؟».

- «اتفقنا».

- «والآن يا أبنائي، لقّنت زميلكم جواب هذا السؤال الصعب، قل لهم الجواب يا راشد!».

- «الجواب هو..الحقيقة أنني نسيت الجواب الذي قلته لي يا أستاذ، ما هو الجواب؟!».

- «بالله قل لي ماذا أنتظر منك غير هذا أيها الوغد؟ سافل بحق.. لا تتمن أن تنجح في مادة الكيمياء يا طاووس، لا تتمن هذا!».

***

## يستفاد

* علاقة الطالب بمكان تعليمه، ما هي إلا علاقة سـجينٍ بسـجن، وعلاقته بمعلمه ما هي إلا علاقـة سـجين بسـجّان - وكلاهمـا مسجون -

* المواضيع التي تلقى على آذان الطلاب لا تمـتُّ لـها يحتاجونـه في الواقع بصِلَة.

* المحيطات الخارجيـة جعلـت مـن « رجـال الأمـة » مـراهقين يتصرفون كالأطفال.

* مخرجات كلية التربية « المعلمين » هي أهم مخرجات لكليّةٍ على الإطلاق؛ فصلاحها صلاح، وفسادها دمار.

«وزارة التعليم تقرر جعل السنة ألف يوم، مقسمة على خمسين فصلًا دراسيًا، مع عدم إعطاء الطلاب أي كتب؛ لأن العلم يؤتى ولا يأتي، أو -في الحقيقة- لأن العلم نائم حاليًّا ولا نريد أن نوقظه لنكتبه على أوراقنا اللعينة، ومع عدم وجود كتب تناسب هذه الخطة الدراسية؛ لأن الوزير -حفظه الله- قد استيقظ من نومه فجأة، وقرر أنه يستطيع الطيران بلا أجنحة، وأنه سيغير العالم بأسره برهنة على ذلك، فقرر أن يضع خطة محكمة لتغيير مسار الدراسة بأسرها!

لقد تعب الوزير -حفظه الله- لمدة ٣ دقائق في كتابة اسم هذه الخطة وعدد الأيام وعدد الفصول الدراسية، ولكن أخذه التعب وغط في نومه مرة أخرى، ونسي أن يجهز لنا كتبًا لهذه الخطة الجميلة، حظًّا موفقًا للطلاب في مذاكرة المنهج، المنهج بالطبع غير متوفر حاليًا، لا ورقيًا ولا إلكترونيا! يمكنكم طلب الوحي أو تأليف مناهج ودراستها.. وداعًا».

أكره وزراء التعليم هم الآخرين، كلما شعر أحدهم بالفراغ العاطفي وشعر أنه بلا فائدة في هذا الكون الفسيح، قام بتغيير نظام التعليم..

ليتهم يدركون أنهم يدمروننا باختراعاتهم، ليتهم يرتاحون فقط! كل ما أريده هو أن يرتاحوا على كراسيهم المريحة، تلك التي إذا

فكرت في شرائها فقط ستبيع بيتك أو أحدًا من أبنائك! هـذا إن كـان لديك بيت، ورضي أحد أن يشتري منك ولدًا بهذا السعر الثمين!

❋❋❋

– «أعزائي الطلاب، أعلم أنكم فرحون بالقرارات الجديدة التـي حلت صباح هذا اليوم الجميل!

حيّوا وزيركم عـلى أفكـاره الجبـارة، وقدراتـه الخارقـة، وعقلـه الرجيح!

يجب أن تعلموا أني ما جئت إلا لتطوير الـبلاد، تطـوير الصـناعة والزراعة وكل شيء في هذه المعمورة!

الدراسة ليست كتبًـا تُحفـظ وحسـب، بـل إنهـا أكثـر مـن ذلـك وأعم!عندما كنت في أمريكا كان كل شيء لديهم رقميا!

الأكل، الشرب، الزواج، الـولادة، ... كـل هـذه رقميـة لـديهم! انظروا إلى حجم التطور!

أكثر ما أعجبني لديهم هو أنهم يرعون الأغنام والمواشي رقميّـا! جنّ جنوني عندما رأيت هذا! كيـف نرعـى الأغنـام والمواشـي بـلا مزارع؟ عن طريق التقنية فقط!

إلى أن رأيت المزارع الرقمية لديهم، نعم! إنها مـزارع حديثـة بهـا

العديد من الموظفين، كل موظف منهم راقد على هاتفه الذكي، ويتعب ويكدّ ويحرك أصابعه بسرعة فائقة على شاشة هاتفه!

لقد طورت لهم دولتهم تطبيقًا أصفه بالمعجزة!

المعجزة التقنية «المزرعة السعيدة»، ولذلك هم متقدمون، ونحن متأخرون! أرى الطفل منهم يُطعم المواشي ويسقيهم طوال اليوم.. يتعبون جدًا! يتعبون بحق!

وقد أعجبني موضوع الدراسة الرقمية بصراحة؛ لذلك قررت أن تتحول دراستنا إلى دراسة رقمية بالكامل!

من الأسبوع القادم.. سيتم توزيع ألواح ذكية على كل طالب في أرجاء هذه البلاد الطاهرة.. ينبغي لكم أن تشكروا الله على نعمة هذه البلاد، الذي لولا الله ثم هي لنمتم في الشارع أيها الطلاب، ولصرتم عالةً لا تجدون قوت يومكم!

ينبغي لكم ألا تعترضوا؛ فأنتم ما زلتم أطفالا لم تبلغوا السنتين أو الثلاثة على ما أعتقد.. أشك في أنكم ما زلتم ترضعون.. أظن أن البعض القليل منكم فقط انتهى من عامي الرضاعة؛ لذلك لا يجب لرُضّع حقيرين أن يعترضوا عليّ!

أنا ربيع شكري الذي جُبت أرجاء العالم، وتجولت في جميع أصقاعه

وبقاعه! الكل يشهد لي بالعلم الغزير، والقدرة على البحـث والتطـوير، والأهم من ذلك كله! أنني مهندس! وأنتم أشخاص عاديون!

وعلى الشخص العادي عندما يرى مهندسًا أن يقف احترامًا وتقديرًا له، لأن جنس المهندسين جنسٌ سامٍ لا يشبه جنس البشر العاديين!

وأنتم -أيها الطلاب- أقول لكم: اهتمـوا برضـاعتكم، ارضـعوا جيدًا، وألقوا الأمور كلها على عاتقي! ثقوا بي، وسـأبهركم بقـدراتي الخاصة على جعلكم جميعا تعيدون هذه السنة!

وداعًا».

لا يجب أن نسأل بالطبع كيف لمهندس أن يتقلـد منصـبًا حساسًـا كهذا!

اسـمها وزارة التعلـيم، مـا دخـل المهندسـين فيهـا؟ ألا يوجـد معلمون في هذه البلاد؟ أم أنهم انقرضوا ولم يبق منهم أحد؟

أما بقي غير هذا المتعجرف الذي يظـن أن «المزرعـة السـعيدة» رعي إلكتروني؟ أليست لعبة؟

أعتقد أننا منحوسون! لا يجب أن نتخرج من هـذه الثانويـة عـلى خير، وإلا لانفجر العالم واختل توازنه!

❋❋❋

* لا يوجد مناسبة للخطط التي تطبق مع الحال المجتمعي للبلاد.

* لا يهم أن تغش الإجابة الصحيحة، بل أن تستطيع تطبيقها وإلا كنت حمارًا يحمل أسفارًا.

* الطلاب هم ضحايا كل حركة في المنظومة التعليمية.

* لا يمكن الاستغناء عن القلم، ليس لأن غيره غير مُجدٍ، وإنما لأننا غير ملمّين بما سواه من الكائنات.

- «أعزائي الطلاب، بالطبع تعلمون القرار الذي صدر الأسبوع الماضي. قرار استبدال الكتب بأجهزة لوحية!

لقد وصلت بالأمس شاحنة محملة بالأجهزة اللوحية «التابلت» وكدت أن أبيعها وأهرب من هذا البلد مباشرةً! ولكن هذا النظام المغلق اللعين أتعبني ولم أستطع فكه!

سنسلمكم الأجهزة اللوحية الآن، شريطة أن تعتنوا بها اعتناءً تامًا! بالطبع لا أحتاج أن أقول لكم ألا تلعبوا «ببجي» أو «فري فاير» أو «المزرعة السعيدة» أو أي شيء من هذا القبيل على أجهزتكم!

لا شيء إلا المواد العلمية فقط!

تعلمون أن النظام على هذه الأجهزة يعزل الألعاب الإلكترونية!

ولكننا نعلم أيضًا أنكم عفاريت! يمكنكم فك شفرات هذا النظام بكل سهولة، بل يمكنكم عزل المواد التعليمية بدلا من عزل الألعاب!

لستم بارعين في شيء إلا في هذا، متخصصون فيه أيها الأوغاد!

أعزائي الطلاب، إذا كان أحدٌ منكم يستطيع فك هذا النظام اللعين، فأرجو منه أن يحضر إلى مكتبي -مكتب المدير- غدًا صباحًا! في وقت الفسحة! وليفُك لي شفرة هذا النظام؛ لكي يتسنى

لي لعب«ببجي» أو «المزرعة السعيدة» على هذا الجهاز الذي في يدي وقت فراغي! وأعده أنني سأعطيه خمس درجات في كل مادة، وامتيازات أخرى كثيرة جدًا! آمل منكم أن تصطفّوا؛ لكي نسلمكم أجهزتكم..وداعًا».

✵✵✵

- «معلمينا الأعزاء، لقد سمعنا عن تهاونكم مع الطلاب في موضوع الدرجات، هل تحسبون أننا نائمون على آذاننا؟! إن كنتم تحسبون ذلك فأنتم مخطئون! نحن نائمون، ولكن ليس على آذاننا..إنكم مقصرون بحقّ!

لا أدري كيف للوزارة أن تجعل معلمين متهاونين بهذا الشكل في هذا المنصب الحساس! يجب أن تخجلوا من أنفسكم؛ إنكم تعطون الطلاب اختبارات لا تخرج عما في الكتاب! في الدول المتقدمة يختبرون الطلاب بأسئلة مستوردة من المريخ، وأحيانًا من نبتون!

أنتم تكلفون الطلاب بمائتي بحث وورقة عمل فقط! ألا تستحون من أنفسكم؟

يجدر بكم -معشر المدرّسين- أن تحتقروا أنفسكم إذا حصل طالب من طلابكم في الاختبار على درجة تزيد عن خمسين بالمئة!

عار عليكم، عار! أتدرون ماذا يعني هـذا؟ يعنـي شـيئًا كبيـرًا جـدًا، ويتضمن حيثيات كثيرة جدًا أنـا لا أعـرف أيـا منهـا، ولكـن عنـدما أعرفها بالتأكيد لن أخبركم؛ لأنكم معلمـون مهملـون.. مـن اليـوم وصاعدًا، إذا حصل طالب في مادة على أكثر من ٥٠ في المئـة سـيقال معلم هذه المادة! مفهووووم؟!».

أكره ذلك القزم الشرير الصغير الذي يوجه المعلمين يمنة ويسرة!

أعزائي الطلاب في كل أصقاع العالم، في الدول المتقدمة، والدول التي لم تتقدم لأنها متعبة الآن وأخذت قسطا من الراحة، إذا وجـدتم المعلم قد تغير عليكم أو تغيرت معاملته معكـم، فـاعلموا أن قزمًـا صغيرًا وراء ما يحدث! نعم في كل إدارة تعليمية يوجـد قـزم صـغير بأذنين كبيرتين يوبخ المعلمين دوما!

❋❋❋

- «أعزائي الطلاب، أرجو منكم حل هذا الاختبار، أتمنـى لكـم التوفيق والنجاح».

حمدًا لله، كنت حائرًا بحق! كنت سأمسك بورقة الاختبار وأنظف بها أذني أو أمسح بها حذائي، ولكن حمدا للـرب، جـاء البيـان في أول الاختبار «نرجو منكم حل الاختبار».

إذًا علينا حل هذا الاختبار الآن، بسم الله..

«عدد ثلاثة أشكال للمخلوقات الحية على نبتون؟».

ج/ في الواقع، لم أذهب إلى نبتون بعد، ولكن أعدك أنني عندما أذهب، سأقيم هناك مع تلك الثلاثة مخلوقات وأترك هذا الكوكب اللعين لكم وحدكم.

«يوجد في الرياضيات مصطلح يسمى «الأعداد اللانهائية»، من فضلك أوجد آخر عدد منها».

ج/ الحقيقة أن آخر عدد فيها في الخارج الآن، عندما يأتي سأجعله يتصل بك بالتأكيد.

«إذا كانت حافلة تتحرك بسرعة ٣٠ ميلا في الثانية، فكيف حالك؟».

ج/ بخير والحمد لله، شكرًا لك.

«أتمنى لك التوفيق والنجاح».

❋ ❋ ❋

## يستفاد

* إذا كان الليمون والكعك موجودَيْن في مكان واحد، فـلا تلمنـي على تناول الكعك، بل لم نفسك على إحضار الكعك لي.

* نأخذ من الدول المتقدمة « الحديثَ عنها كل يوم » فقط.

* الضغط علـى المعلمـين - مجتمعيًـا وإداريًـا - كبيـر بدرجـة لا توصف.

* إذا لم يفهم الجمهور ما تقول، فلا تتوهم أنك فيلسوف.

-«أعزائي الطلاب، طلابي الأعزاء، أعزائي الأعزاء، طلابي الطلاب.. مرحبا بكم جميعًا، بالطبع تعلمون النعمة التي أنتم فيها! أنتم في مدارس حكومية راقية المستوى، لا تدفعون فيها قرشا واحدًا حتى! نعطيكم الكتب بالمجان، معلمون بالمجان، طاولات بالمجان، سبورات بالمجان! أي شيء هنا بالمجان، شرحي أنا -شخصيا- بالمجان! في حادثة هي الأولى من نوعها أن يكون علم من أعلام اللغة العربية مدرسا في مدرسة وشرحه بالمجان! أنتم في نعمة كبيرة يجب أن تحمدوا الله عليها، تحمدوه عليها كثيرًا جدًا! ينبغي لكم أن تقبلوا أيادي معلميكم كل يوم عشر مرات! بل ينبغي لنا أن نأخذ أحدكم معنا إلى البيت بعد نهاية اليوم الدراسي، يعمل على خدمتنا ويطبخ لنا ويكنس، نعم بالطبع! إنها فكرة جيدة جدًا، سأكلم وزير التعليم في هذا الموضوع في المقابلة القادمة بالتأكيد.. تعلمون أني مهم جدًا في هذه الدولة -رعاها الله- هذه الدولة التي تقدم كل هذه الخدمات لطلاب كسولين لا يقدرون حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم!

أقسم أنكم لا تعلمون شيئًا في مناهجكم، ولا حتى في لغتكم الأم! اللغة العربية! لغة الأمجاد والأماجد، والحضارات البارزة عبر التاريخ!

لنأخذ ضحية منكم.. قم يا بني، ما اسمك؟».

- «راشد الطاووس».

- «راشد، أي بُني! أعرب ما سأقوله.. الطبيب حاذقٌ، أعرب!».

- «الطبيب مبتدأٌ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وكذلك «حاذق» مرفوعة أيضا، وهي خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره».

- «راشد، أي بني! أحسنت، ولكن السؤال سهل قليلا! أقسم أنني لو جعلت الأمور أصعب قليلا ستبدأ في اختراع إعراب جديد من كيسك!».

- «سل ما شئت».

- «أهكذا؟! إذًا أعرب كلمة «غير» في قوله تعالى في سورة فاطر «هل من خالق غيرُ الله يرزقكم»».

- «بالطبع «غير» هي صفة لـ «خالق» مرفوعة وعلامة رفعها الضمة الظاهرة».

- «أنت تعلم أن الصفة تتبع الموصوف، أليس كذلك؟ لماذا لم تتبعه هنا؟».

- «في الحقيقة هي تبعته هنا على المحل أو الموضع.. تقدير الكلام هنا بالطبع.. هل خالقٌ غيرُ الله يرزقكم».

- «يا بني، من أين لك هذا العلم؟ أأنت متخصص في اللغة العربية أو ما شابه؟».

- «لا، ولكن والدي معلم لغة عربية مثلك! أسمعه يثرثر عن هذه الألغاز دومًا، بعض الأحيان يُحَضّر عفريتا بالصدفة».

- «يجب أن تتخصص في اللغة العربية، إنك رائع حقًا! صدقني ستبدع فيها! ستكون علّامة -أقل مني علمًا بقليل- فكر في الموضوع يا راشد.. جميع وظائف اللغة العربية الآن معدومة! تكاد تكون مرفوضة، لذلك أنصحك بأن تتخصص في اللغة العربية وتنام في الشارع مع المنصوب والمجزوم يا بني! وفقك الله».

***

- «أعزائي الطلاب، نخب المدرسة وروحها ونشاطها، شبابها، ربيعها! تدرون بماذا ألقبكم؟».

- «بماذا؟».

- «أنتم طلاب النشاط، لهب النشاط، أيقونة النشاط في المدرسة!».

- «وماذا بعد؟».

- «أنتم طلاب غير عاديين، لذلك أريد أن أكلفكم بمهـام تليـق بكم، سأسلمكم مهام ريادة النشاط في المدرسة! تحضّرون الإذاعة، تنظمـون دوري كـرة القـدم، ودوري التـنس، تقيمـون المسـابقات وتفعلون كل ما يحلو لكم!

المهم أنني سألقي على عاتقكم مهمة ريـادة النشـاط! أي شـرف هذا الذي ستحصلون عليه؟! أي شرف؟!».

- «وأنت ماذا ستفعل؟».

- «راشد، حبيبي! اقترب مني.. كيف ماذا سأفعل؟».

- «أعني، أنت رائد نشاط المدرسة، مكلّـف مـن وزارة التعلـيم بمهمة ريادة النشاط في مدرستنا، وتلتهم كل شهر راتبا ضـخمًا عـلى ذلك! فإذا ألقيت ريادة النشاط علينا فماذا ستفعل؟».

- «راشد، حبيبي! لك ثلاث درجات في كل مادة ولكن اصـمت أرجوك!».

- «قليلة، ارفعها قليلا!».

- «خمس درجات، ولن أزيد بعدها! اتفقنا؟».

- «اتفقنا».

❋❋❋

«عاجل.. طالبٌ يهدي معلمَهُ في يوم المعلم سيارة ثمنها ثلاثمائة ألف دولار في حادثة هي الأولى من نوعها، والأخير يـرد: ليـت كـل الطلاب مثلك! لو كان كلهم مثلك لكان لدي خمسون سيارة الآن».

بالتأكيد هذا الخبر مزعوم، لا شك في ذلك!

من يصدق تلك الأخبار من الأصل؟!

- «بالتأكيد سمعتم عن ذلك الطالب النجيب الذي أهدى معلمهُ سيارة فارهة!

هؤلاء هم الطلاب بحق! نعلّمكم ونفهّمكم ويعلـو صـوتنا لـيلا ونهارا؛ لكي نُسمِعَكم..

نحن عماد الأمة وكلكم عالة علينا

والآن، من يخبئ لي سيارة في درجه؟ لا أحد بالطبع

سُحقًا لكم، أقسم أن أعتزل هذه المهنة وأذهب لأبيع البطـيخ في الشارع أيها الأوغاد».

هـذا المعلـم مرهـف الأحاسـيس يريـدنا أن نشـتري لـه سـيارة

بثلاثمائة ألف دولار!

أقسم لو كان معي ثلاثمائة ألف دولار أنني كنت سأرقد عليها مثل الدجاج أملًا في أن تفقس وتُخرج لي دولارات صغيرة!

ثلاثمائة ألف دولار! كيف استطاع ذلك الوغد أن يفعل هذا؟! لا شك أنه كان ثملًا أو شيئًا من هذا القبيل.

...

- «أبنائي الأعزاء، كيف حالكم؟ هل أحضر أحد منكم لي سيارة أو أي شيء؟

بالطبع لا فأنتم أبخل من البخلاء الذي تحدث عنهم الجاحظ في كتابه، وأوضع من الوضيعين الذين لم يتحدث عنهم أحد في كتاب لأنكم أول نسخة منهم،قفوا احترامًا ليأيها السفلة، حيّوني على مجهودي المبهر معكم طوال هذا العام!

وما هذا يا بني؟ أرى أنك أحضرت لي كيسًا من الفستق!».

- «لا، إنها لي».

- «نعم أشكرك على هذه الهدية الرائعة! وما هذا يا راشد؟! أحضرت لي هذه الساعة التي في يدك؟».

- « امممم...».

- «أشكرك بالطبع، هذه مبادرة جميلة منك!».

...

- «أبنائي، فلذات كبدي، قرة عيني!

تعلمون أني أحبكم؟ قولوها بصوت عالٍ!».

-«تحبنا يا أستاذ!».

- «أبنائي، مُهَجِي الغاليـة، لآلِئـي النفيسـة، هـل تعتبرونـني أبًـا لكم؟».

- «نعم يا أستاذ».

- «وهل من واجب الأب أن يدرّس أبناءه؟!».

- «لا يا أستاذ!».

- «وإذا درّس الأب أبناءه فماذا يكون هذا؟».

- «تفضلا من الأب على أبنائه يا أستاذ».

- «إذًا أنتم معترفون أني متفضل عليكم بإعطائكم جزءًا من وقتي الغالي، أبنائي الأعزاء! هل تحتاجون معلمًـا كـي يشـرح لكـم علـم الأحياء؟ بالطبع لا! ماذا يدرس علم الأحياء؟ أجب يا راشد».

- «يدرس أشياء متعددة، وأنواعًا كثيرة جدًا، لا أعرف أيّا منها».

- «لماذا لا تعرف! ألم تدرس في الصف الأول الثانوي علم الأحياء؟

ماذا كنتم تفعلون مع المعلم آنذاك؟! أكنتم تلعبون؟!

هذه مشكلة المعلمين معدومي الضمير، حقّا! ماذا كان يفعل معكم المدرس في الحصص إذًا؟!».

- «كان يقول لنا: أبنائي فلذات كبدي، أنتم قرة عيني، ثم بعدها يسب المعلم الذي كان يدرسنا العلوم في المرحلة المتوسطة».

- «قاتله الله، انعدام الضمير مشكلة يجب أن تحل ولو بالقوة!

المهم! أبنائي، فلذات أكبادي، أنتم قرة عيني بحق!

دعوني أنم قليلًا، فأنا لم أنم منذ نمت في الحصة الماضية عند الفصل الذي قبلكم..

لا أريد صوت إزعاج رجاءً، تمسون على خير يا أبنااااائي، فلذاااا خخخخخخخخخووهخخيي...».

* * *

## يستفاد

* بين أصفاد المدارس مواهب، ولكنها « بين الأصفاد ».

* يتعرض المعلمون لأقسى أنواع الاضطهاد المالي، وهذا أسّ من أسس تنصّلهم من التدريس وعملهم في الدروس الخصوصية.

**«أعزائي طلاب السنة الثالثة:**

كما تعلمون، أنتم شيّاب المدرسة، آمل أن تقضوا معنا عـامكم الأخير في صمت تام؛ لأننا لا نحب الإزعاج.

بالنسبة للدرجات، فنحن نعلم أنكم في أمَسّ الحاجة إليها ونقدّر ظروفكم؛ لذلك لن نعطيكم إياها إلا بعد أن تروا شـحمات آذانكـم بعيونكم، أو بدلا من ذلك أن يلعق كل منكم كوعَهُ بلسانه...».

عزيزي المدير، توقف قليلًا..

عزيزي القارئ، من فضلك كن مهذبًا، وأعـد كوعـك إلى مكانـه وأدخل لسانك إلى الداخل؛ فلن تستطيع أن تلعق كوعك، صدقني.. أراك من هنا، شكلك مُزْرٍ بحق! كيف لقارئ مثقـف أن يفعـل مثـل هذه الأفعال الصبيانية؟!

والآن أكمل يا عزيزي المدير..

«لا تقاطعني مرة أخرى أيها الوغد، لـن نعطـيكم الـدرجات إلا بعد أن تروا شحمات آذانكم بعيونكم، أو بدلا من ذلك أن يلعق كل منكم كوعَهُ بلسانه لذلك نرجو ممن لم يستطع فعـل هـذين الشـيئين ألا يطالبنا بشيء نهاية العام، نأمل لكم مستقبلًا مبهرًا مليئًا بأشخاص جميلين مثلنا، عمتم صباحًا».

أنت الآن بالتأكيد تعرف سبب مقتي للساعة السابعة، ولكن لعل الجامعة تكون أحن علينا من هذه الأخاديد التي نخوضها كل صباح!

❋❋❋

- «معلمي العزيز، الفقيه العلامة الفهامة! فطحل الكيمياء ومَجْمع العلوم، أما بعد:

فإني أطلب من سموكم تزكية أتشرف بها أمام جامعة كوانجهام، صدقني! إنك معروف لديهم بنظرياتك الخرقاء - أقصد الخارقة..

لذا، أريد منكم تزكية بسيطة جدًا تجعل موقفي أقوى في هذا الموقف العصيب، أطيب التحيات.. راشد الطاووس».

- «ابني! هل تتدرب على خطبة الجمعة؟».

- «أريد تزكية فقط، أرجوك!».

- «من أنت؟ وهل درّستك من قبل؟».

- «راشد الطاووس، بالتأكيد درّستني من قبل وإلا لماذا أتيتك؟».

- «لم يمر عليّ الطاووس في حياتي إلا في الأفلام الوثائقية، هل هو

أنت؟».

- «ن.. نعم أنا، لقد جئتك خصيصًا من هناك».

- «أعزائي منسوبو جامعة كوانجهام، عزيزي الزميل عميد الجامعة.. تحية طيبة..

بالتأكيد تعلمون من أنا، فطحل الكيمياء، أنا المعلم الذي يتفاعل معي جميع الطلاب! أنا الذي أجعل المواد المتفاعلة تتفاعل من الأصل!

حائز على عدة شهادات عالمية، أنا الوحيد الذي أعطتني ذرة الهيدروجين سرها، لا يمكن أن أخبركم به بالطبع! فقد حلفت لها ألا أخرج سرها بتاتًا..

فإذا حصلتم لي على وظيفة عندكم سأكون شاكرًا وممتنّا لكم جدًا + سأعطيكم سر ذرة الهيدروجين».

- «ما هذا، أين التزكية؟ تزكية لي وليست لك يا أستاذ».

- «اسكت يا ولد، دعني أتابع!

وسأعطيكم العديد من الخبرات الأخرى، مثل طريقة قلي الباذنجان دون أن يمتلئ بالزيت، أو طريقة عمل خلطة البيك دون

روت أحبابي في الله..

أريدكم أن تقبلوا هذا الطاووس، أتـذكر أنـه كـان مـن الطـلاب المميزين في حصتي، أصفه دائمًا بأنه الكلب الوفي؛ لأني عندما كنت أشرح الدرس، كان دائمًا يفـتح فمـه ويخـرج لسـانه ويلهـث مثـل الكلب..

إذا قبلتموه؛ فبالتأكيد سينحدر تصنيفكم العالمي، ولكن هذا كله يهون في سبيل أن يكون عندكم كلب وفيّ مثله.. تحياتي».

* طلاب السنة الثالثة الثانوية هم الأكثر معاناةً على الإطلاق

* الجميع يريد ترك البلاد والمغادرة إلى أوروبا.. ليس لحـلاوةٍ في أوروبا، ولكن هروبًا من واقعنا.

* لدينا خبراء ومفكرون نمَو في أراضينا، ولكنّ أراضينا لم تمـنحهم البيئة الصالحة للنمو.

# دفعة التابلت

عبد الرحمن سيد خلف

## أعز الطلاب

أكره هذه العبارة، أكره كـل معنـى كـامن بـين أضـلاعها! وكـل مضمون يعقبها..

لا تدري لو لم تكن عزيزَه ماذا كان سيفعل بك؟

عنـدما تسـمع هـذه العبـارة؛ فـاعلم أنـك عـلى أعتـاب مصـيبة ستحصل بعد هذه العبارة اللعينة..

تشبه كثيرًا تلك العبارة السوداوية التي يكتبها جميع المعلمين بعد أن يجلدوا الطلاب باختبار يقصم الظهـر! - «أتمنـى لكـم التوفيـق والنجاح»..

هذا وهو يتمنى لنا التوفيق والنجاح، كيف لو لم يكـن يتمنـى لنـا ذلك؟ كان سيُلحقنا في قائمة الرّقّ على ما أعتقد!

✺✺✺

- «أعزائي الطلاب، روحي التي تقيم بـين أضـلُعي، رئتـي التـي تتكئ بـين جنبـيّ! أتعلمـون أن وزيـركم وزيـر نـاجحٌ تتمنـاه جميـع البلدان؟ أتعلمون أن المنظومة التعليمية لـدينا هـي أفضـل منظومـة تعليمية في الوطن العربي؟ لا تعلمون بالطبع، أتدرون لماذا؟ لأنكم حمقى، يعشش البلَهُ في عقولكم..

أعزائي الطلاب: عليكم الاستعداد جيدًا للاختبـارات! سـتكون

اختباراتكم هذه السنة تجربة مختلفة عن سائر الاختبارات التي خُضتموها في حياتكم التعليمية..

سيشرف على هذه الاختبارات عدد كبير من الهيئات التعليمية الأوروبية والأمريكية! أنتم تعلمون بالطبع أن الأجانب - وخصوصا الأوربيين والأمريكيين- لا يُخطئون أبدًا! ليسوا بشرًا مثلنا..

لذلك لا أسمح لأي طويلب حقير منكم أن ينتقد النظام المتبع في هذه الاختبارات، وَيحهُ ثم ويحَه! لقد أشرف عليها أجانب!

ثانيا: ستكون الاختبارات النهائية على الجهاز اللوحي الذي سلمناه لكم بداية الفصل الدراسي، نرجو أن تجهزوا هذا الجهاز لكي تختبروا اختباراتكم اللعينة عليه..

في الحقيقة: اختباراتكم هي الأسوء من بين جميع الاختبارات على الإطلاق! وهذا ليس لشيء إلا لأن صياحكم كثير ومزعج..

أعزائي الطلاب، لا تخافوا ولا تقلقوا؛ فأنا معكم! ثقوا تمام الثقة أنه لن ينجح في هذه الاختبارات إلا من وضعها فقط؛ لذلك لا تحاولوا! مهما ذاكرتم ومهما صنعتم فلن يصل أحدٌ منكم إلى درجة النجاح..

أكاد أجزم أنه لو عُرضت الاختبارات على جميع مدرسي هذه البلاد الطاهرة لما نجح منهم أحدٌ كذلك! وهذا يبين لكم قوة هذا النظام الجديد؛ فقد أشرف على تصميمه وتطبيقه أجااااااانب!

حظا موفقا لكم في الأسبوعين القادمين، تمنياتي لكم بالفشل، وأن تلطخ وجوهكم بالوحَل، راجيًا من الله أن يعينني على جعل حياتكم سوداء، بل على دفنكم أحياء..

أعدائي الطلاب -أعني أعزائي!

راجعوا أنفسكم جيدًا، فربما أذنبتم ذنبا عظيما كان سببا في بلوتكم السوداء هذه! يجب عليكم أن تعلموا أنني سعيد برؤيتكم تتألمون! مشتاق لرؤيتكم تصيحون مثل الديَكة حين يبزُغ الفجر، ولهان لجمع دموعكم وعمل كأس شاي منها..

طيبوا نفسًا وقرّوا عينًا! وكذلك اهتموا برضاعتكم جيدًا.. وداعًا».

عزيزي الوزير، وزيري العزيز!

كنت سأرُد على هذا الكلام، إلا أن غصة في قلبي منعتني من الرد!

عزيزي الوزير، سأروي لك قصة حدثت معي، بالتأكيد ستردعك عن عدوانك الآثم ولو شيئًا بسيطا!

كنـت في الصـف الخـامس الابتـدائي، وذهبـت لأزور حديقـة الحيوانات وبالصدفة البحتة كان هناك -عنـد حديقـة الحيوانـات- مستشفى مجانين، نعم كان هناك مستشفى مجانين!

سمعتُ صوت حشود تصرخُ من داخل تلك المستشفى:

ثمـــاااااان وعشـــرون! ... ثمـــاااااان وعشـــرون! ... ثماااااانوعشرون!

كنتُ أتساءل! لماذا هذا الرقم بالتحديـد؟ لم أدرِ لمـاذا، فرحـت أتلمّسُ نظرة إلى تلك المستشـفى لأعلـم مـا يـدور في الـداخل فلـم أستطع؛ لأن سورها كان عاليًـا بطريقـة غيـر طبيعيـة، ويسـتحيل أن يصعده طفل في الحادية عشرة من عمره!

ولكني رأيت ثُقبا دائريا ممتلئـا بالنمـل في هـذا السـور، فرُحـتُ أزيح هذا النمل من السور كي أرى ما يحدث في الداخل!

نظرت من الثقب ولم يتسن لي أن أنظر إلى شيء حتى لقيـت عصـا طويلة دخلـت مـن هـذه الفتحـة وفقعـت عينـي! وتحـول صـوت الصراخ إلى:

تسعٌ وعشرون! ...تسعٌ وعشرون! ...تسعٌ وعشرون!

أصبحت بعدها بعين واحدة! ليتهم فقعوا عينـي الثانيـة وقـالوا:

ثلاثون! ... ثلاثون! ... ثلاثون!

ليتهم فعلوا ذلك ولم أرَ هذا الهراء الـذي تُبَربـر بـه كـل صـباح! أزعجتنا يا رجُل! ألم يعد في هذه البلد غيرُ «ربيع شكري» لنفكـر فيـه ونستعد لاختباراته؟

ليتك تصـمت وتتركنـا مرتـاحي البـال، ولا تكـدّر صـفو أيامنـا بكلامك الجارح!

اذهب أنت وأجانبك الملائكة الذين لا يُخطئـون أبـدًا إلى مكـان سحيق واتركنا وشأننا رجاءً!

***

* كلّ بلد ترى نفسها أفضل البلدان، وتُسكت - قهرًا - من يواجهها بالسلبيات..

* ما زالت تتربع في عقولنا وعقول وجهائنا « عقدة الخواجة »

* توجد دائمًا حالة من عدم الثقة المتبادلة بين الأنظمة التعليمية ومن تُطبّق عليهم الأنظمة..

* يجب أن تكون عالمًا بالشيء قبل تطبيقه، وضعُ نفسك ومن حوالك أمام الأمر الواقع جهل بليغ.

- «أخرجـوا كتـاب الكيميـاء، هيـا فلنبـدأ في الـدرس التاسـع والعشرين «هاليدات الألكيل»».

- «ألا تسلم علينا حتى؟!».

- «لماذا؟ هل أنت زوجتي؟ إذا كنتَ زوجتـي فأنـت طـالق! لا يحق لأحد أن يعدل على تصرفاتي حتى ولو كانت زوجتي! أتفهم؟! ثم أيـن كتابـك؟ تُحـدّثني هكـذا وأنـت حتـى لم تُحضـر كتابًـا؟ يـا لوقاحتك!».

- «تعني الجهاز اللوحي!».

- «أخرج ذلك الشيء اللعين الذي تدرسـون فيـه الكيميـاء، ولا تثر غضبي!».

- «بالتأكيد، موجود أمامي».

- «دعونا نرجع إلى درسنا البسيط..

«هاليدات الألكيل»

نعم، هاليدات الألكيل هي ببساطة هاليدات ألكيـل.. نعـم كمـا سمعتم! لا أستغرب علامات التعجب البارزة على وجـوهكم الآن؛ لأني كنـت متعجبًـا مـثلكم، ولكـن بعـد المثـابرة في طلـب العلـم،

والسعي المستمر نحو المعرفة وصلت إلى أن هاليدات الألكيل هـي هاليدات ألكيل! انتهى الدرس

بالطبع لا يوجد صفحات محذوفة من الكتاب، يجب عليكم أن تذاكروا الكتاب كله! شـرحت لكـم كـل شـيء كمـا تعلمـون؛ لـذا فاجتهدوا يا أبنائي، اجتهدوا! الاختبارات على الأبواب».

...

بالطبع شرح لنا كل شيء، ولكن كل شيء في السـطر الأول مـن كل درس فقط!

يعجبني ذلك المعلم الواثق من نفسه، الذي لا يـبخس الطـلاب حقهم، يعطيهم ولا يحرمهم، يسبغُ عليهم من واسع كرمـه فيشـرح لهـم مـن كـل درس سـطرًا! وفي النهايـة يكـون شـعاره: لا حـرف محذوف! الكتاب كله معكم!

ها هي الاختبارات النهائية على الأبواب، كابوس كل طالب ماثل أمامه الآن! يُكشّر عن أنيابه ويهمس إليـك مـع كـل هـذه الوحشـية قائلًا: لن تمُر الأمور بسلام.

يزورك في أدغال أحلامك ويرهقُك برُؤاه البشعة؛

بعضهم يحلـم أنـه كـان جائعـا في قاعـة الامتحـان فأكـل ورقـة

الاختبار فتحصل على صفر بحجم رأسه..

وبعضهم يبكي وهو نائم!

- «ماذا بك يا بني؟».

- «تعب السنة كله ضاع يا أمي! تعب السنة كله ضاع!».

البعض ينام على أعتاب بيوت معلمي الدروس الخصوصية، أملا في الحصول على معلومة، لعلها تكون طوق النجاة..

أما الجزء الأذكى -وهُم من هُم على شاكلتي- فعكفنا على تعلم أساليب الغش عن طريق هذا الجهاز اللوحي، تعلمنا كيف نغوص في أعماقه، ونقطع أدغال متاهاته، كل قطعة في هذا الجهاز زرناها! أصبح لهذا الجهاز ولاء خاص لنا..

نحن الأذكى من بين هؤلاء بالطبع، اختصرنا الطريق على أنفسنا، وعرفنا كُنه ما نحن مقبلون عليه؛ فكنا على أتم الاستعداد.. بالطبع لا تتمنّ أن ينجح ذلك النظام الجديد!

يا صديقي، الغاشّ لا يأخذ المعلومة كاملة ممن يغُش منه!

يا صديقي، نحن غشاشون! همنا الوحيد هو «كيف نكون مثل الأجانب» لا نستحضر المعلومة تامة! ولا حتى عُشرها.. يهمنا أن

نطبق ما نجح فيه غيرنا! لا يهمنا ما إذا كانت ظروفنا غيرهم، أو أننا لا نتحمل أن نسير مسيرهم!

بل المهم هو أن نكون مثل الأجانب، وإن اعترض أحدهم فبالتأكيد سنصرخ في وجهه: هل جُننت؟! إنهم أجانب!

هكذا هي حياتنا -نحن المراهقين- في أرق دائم، خاضعون للتقلبات المزاجية!

كلّ من هب ودب أمسك بنا ورمانا في قفص التجربة كأننا فئرانُ هامستر، أو أقل!

لذلك عندما أقول إن المراهقة كابوس يجب خوضه فلا يلُمني أحد على قولتي تلك.

***

- «أبنائي، فلذات أكبادي، بؤبؤ عيني وقرّتُها، مُهَجي الغالية ولآلئي النفيسة!

هل تعلمون أن قلبي ينبض بحبكم؟ هل تعلمون أني هائمٌ بكم؟! يكاد قلبي يتقطع شوقًا للقياكم، وعيني تهطل دمعًا لتراكم!

أبنائي الأعزاء..

كما جرت العادة، وفي الإعادة إفادة! ترون الاختبـارات النهائيـة قادمة من بعيد، تكاد سفينتها تَحُط على ضفافنا وتنزل أوراقها!

أبنائي، فلذاتُ أكبادي، بؤبؤ عيني ومُهَجي!

إن ساعة واحدةً يوميا كفيلة بأن تضمن لـك النجـاح السـرمدي، والفلاح الأبدي! ساعة واحدةٌ فقط!

معكم الآن أربعة عشر كتابًا، أعطوا كل مادة منها أربع دقائق!

نعم، أربع دقائق تكفي! إنها مهمة جدًا في مسيرتك كطالـب، بـل هي الأكثر أهمية لك على الإطلاق..

طالع الكتاب، انظر إلى تقسيماته، تأمل في بديع صفحاته، وأعدك بأنك لن تستفيد أي شيء!

أربع دقائق لكل مادة أيها الحقير الساذج؟! ما هذا الهراء؟

أتريد أن تدخل كلية مرموقة بـالأربع دقـائق تلـك؟! حقـا إنـك معتوه!

هذه لن تدخلك أي كلية، حتى لو كانت أحقـر كليـة عـلى وجـه الأرض، أخشى أنها لن تُدخلك الحمّام حتى!

سيبصقُ مسؤولو قبول الطلاب في جميـع الجامعـات في وجهـك

حتما، ستصير أُضحوكة بينهم!

**عزيزي الطالب السافل:**

إن لم تُذاكر فذنبك أنت من ستتحمل عواقبه الشنيعة! لا تأتِ بعد فوات الأوان؛ فكلنا نحلم أن نتبوأ مكانك هاهنا، ولكن للأسف! فات الأوان..

والآن، وبعد هذه المحاضرة الشاقة التي تقطّعت فيها حبالي الصوتية كلها دعوني أنم قليلا فقط، تبقى أربعون دقيقة على نهاية الحصة..

إذا دخل المدير أو أي صهيوني من أولئك المشرفين، فأخبروه أن معلم الجيولوجيا كان يعلمكم أنواع المقطوعات الموسيقية الشخيرية

والآن.. وداعًا».

❋❋❋

* نتيجةً لضعف المدخولات المادية، يلجأ بعض المعلمين إلى الشرح الناقص، وبقية الدرس هناك... في الدرس الخصوصي..

* في نظام التابلت، يكون الحاصلون على الدرجات المثلى إما خارقي الذكاء، أو غشاشين..

* يتفنن الخبراء في وضع الاستراتيجيات التنظيرية، التي ليس لها معنى بالنسبة للجيل.

* بينما يفترض أن تكون « المراهقة » - كما يدعونها - فترةَ بناء الرجال، جُعلت فترةَ قلق وأرق.

- «أيها الطلاب! تباعدوا عن بعضكم، لدينا اختبار شفهي!

هيا! أنت، نعم أنت يا ذا الرأس الكبير! تقدّم إلى الأمام.. وأنـت! تحرك مع الصف هيا!

لا أريد أن أرى طاولة تلامس طاولة في هذا الفصل اللعين!

لا يجب أن أنبهكم أن أي حيوان سيسترق السمع أو النظر إلى زميله فسأقيم عليه حدّ الردّة! لا يغُشّن أحدٌ منكم، هيا تحركوا!».

لا تقلق؛ فهي إجراءات روتينية لكل اختبار.. يكون على المعلم ضغط كبير؛ لذلك تراه يصرخ كثيـرًا ويجتهد في مباعدة الصفوف والأعمدة عن بعضها.

كنت أريد أن أُخبر المعلم أنه اختبار شفهي؛ فلا حاجة للتباعد، إلا أنه كان في حالة هستيرية لا تسمح لك حتى بالعطس!

- «راشد، أيها الوغد! تعال إلى هنا؛ فأنت أول ضحايا هذا اليوم البئيس.. هل أنت مستعد لاختبار التفكير الناقد؟».

- «نعم بالتأكيد مستعد يا سيدي!».

- «كيف نسقط بعض قطع الحجارة من طائرة في ثلاث خطوات؟».

- «نفتح باب الطائرة، نرمي الحجارة، ثم نغلق باب الطائرة!».

- «أحسنت، كيف نُدخل فيلا في ثلاجة في ثلاث خطوات؟».

- «ن... ن... نفتح باب الثلاجة، ندخل الفيل، ثم نغلق باب الثلاجة! صحيح؟».

- «أحسنت يا بني! كيف ندخل الزرافة إلى ثلاجة في أربع خطوات؟».

- «نفتح باب الثلاجة، نُخرج الفيل، نُدخل الزرافة، ثم نغلق باب الثلاجة!».

- «دعا الأسد الحيوانات جميعها إلى حفل في الغابة، حضرت الحيوانات جميعها عدا حيوان واحد! فما هو؟»

- «الزرافة يا سيدي؛ فهي في الثلاجة!».

- «أحسنت يا بني! عظيم جدًا. ذهب صياد ليصطاد غزالًا فلم يجد أي غزلان! لماذا؟».

- «لأن الغزلان كلها في حفل الأسد!».

- «صحيح يا بني! أنت ماهر جدًا!توفي الصياد في الغابة! كيف؟ ولماذا؟».

- «ربما لأن أحد الحيوانات انقض عليه وقتله؟!».

- «الحيوانات كلها في الحفل أيها الأحمق!».

- «ماذا؟ أخطأت؟ ما هو الجواب إذا؟».

- «سقطت عليه الصخور التي ألقيناها من الطائرة في السؤال الأول أيها المعتوه! غبي بحق! صفر بحجم رأسك!هيا! لا تنظُر إليّ هكذا! نادِ الذي بعدك».

عبد العزيز النَّوْرس! أهلا يا نورس! أَمُستعد لاختبار تفكيرك الناقد؟!».

- «نعم بالتأكيد مستعد!».

- «كيف نركب السيارة في أربع خطوات؟».

- «نفتح باب السيارة، نُسمي بالله، ندخل السيارة، ثم نغلق باب السيارة!».

- «أحسنت، عظيم! هاك هذا السؤال: رجلٌ صدمته سيارة في الطريق أمامنا، هرب صاحب السيارة ولا نستطيع مساعدة الرجل، لماذا؟».

- «لأننا داخل السيارة يا سيدي!».

- «تُعجبني يا بطـل! كيـفَ نخـرج أسـدًا مـن القفـص في سـت خطوات؟».

- «نفتح باب القفص، نـدخل الأسـد، نـودع الأسـد، ثـم نغلـق الباب».

- «أخطأت أيها الأخرق! كلكم فشلة!».

- «امممممم، ما الجواب إذًا؟».

- «نفتح باب القفص، ندخل الأسد، ثم نغلق باب القفـص، ثـم نفتح باب القفص مرة أخرى، ثم نخـرج الأسـد! لم يكـن الأسـد في القفص أصلا! فكيف نخرجه منه وهو ليس فيه؟».

- «نعم ولكنك نسيت شيئًا يا أستاذ!».

- «أنا؟! نسيتُ شيئًا؟».

- «نعم، لم تغلق باب القفص!».

- «أصبت، بلى كلامك صحيح! لن أعطيـك صـفرًا، سـأجعلك تُكمل!إذًا أجبني يا نورس.. جاء رجل لينقذ الرجـل الـذي صـدمته السيارة آنفًا، ولكنه قُتل! من الذي قتله؟».

- «امممممم، امممممم مرة أخرى! أعتقد أن السـائق الـذي

هرب هو الذي قتله!».

- «حمارٌ بقرون! لم أر في حياتي حمارًا بقرون، ولكن اليوم هـو أول يوم أرى فيه حمارًا بقرون! صفر بحجم رأسك ورأس راشد!».

- «ما الجواب إذًا؟!».

- «افترسَه الأسد الذي أخرجناه من القفص يا أحمق! اغرب عـن وجهي، هيا! هيا لا ترمقني هكذا!

من الذي لدينا هنا؟ عادل، نعم عادل الديك! تعال يا عادل».

- «نعم يا أستاذي، يا بؤبؤ عيني ويا فلذة كبدي! يا قلبي النـابض ماذا تريد؟».

- «أريد سلامتك يا ديك! أشكرك على هذا الإطراء يا بني! أرجو أن تكون مستعدًا لاختبار اليوم؟».

- «نعم مستعد بالطبع، أريـد أن أُعْلمـك أني مـا جئـت اليـوم إلا لرؤية وجهك المنير!».

- «عادل! يا أيها الديك، اقترب! السؤال الأول: ذاهبون في رحلة برية، وصادفنا في طريقنا أحد السيارات الواقفة عـن يمـين الطريـق! وقفنا عندهم فوجدناهم يحتاجون تبديل إطار سيارتهم فقط..

قل لي يا عادل، كيف نُبدّل إطار السيارة في خطوتين؟».

- «ننزع الإطار الخرِب، ثم نركّب الإطار الجديد».

- «أحسنت! هاك سؤالا غيره.. كيف نصنع عصير ليمون في ثلاث خطوات؟».

- «نأتي بالليمون، نَشطر كل ليمونة إلى شطرين، نعصر الليمون».

- «أحسنت يا بني، وكيف نشرب الليمون في خطوتين؟».

- «نُسمّي بالله، ثم نشرب الليمون».

- «يال البساطة! عبقري يا رجل! هاك غيره، ذهبنا في طريق فوجدنا حادثًا مروّعا جدًا! سيارة تحترق على حافة الطريق! يا إلهي! السؤال هنا، لماذا حدث هذا الحادث الفظيع؟».

- «يا بؤبؤ عيني، ويا فلذة كبدي.. في الحقيقة أنا لا أعلم الغيب».

- «علمت أنك أحمق منذ البداية، هل ظننت أن هذا الإطراء سيجعلك تحيد عن نَيل صفر بحجم رأسك المكعب مثل زُملائك؟! لو كنت تحسب أن هذا كان سيحصل فأنت أخرق كبير! كبير جدًا!».

- «أعتذر لك، ولكنـي متشـوق لمعرفـة الجـواب! لمـاذا صـار الحادث؟».

- «اصطدمت السيارة بالإطار الـذي بـدلناه للسـيارة في السـؤال الأول؛ فانقلبت واحترقت! هل تيقنت الآن أنكم كلكم حمقى؟ حمقى بحق! كلكم سترصد لكم درجة واحدة فقط! أتعلمون مـاهي؟ هـي درجة الصفر المكعب! مثل رؤوسكم.. لـن أختبـر طلابًـا آخـرين! اغربوا عن وجهي! وداعًا».

...

بالطبع لا تسـأل عـن كُنـه هـذه الاختبـارت الحمقـاء، ولا عـن المجهول الذي وضعها وأسسها وقنن مادتها! لا تسأل عن كل هـذا لأنك لن تجد جوابًا يشفي غليل صدرك!

❋❋❋

عزيـزي القـارئ، عزيـزي الإنسـان! سـأطلب منـك طلبـا فـلا ترفضه..

جسمك يتكون من ٧٠٪ من الماء، لا تبخـل علينـا ولـو ببصـقة واحدة..

الكل أصبح يبصق علينا، لم يتبق إلا أنت يا عزيزي.

والآن أشكرك على بصقك الثمين، نتشرف بهذا!

❋ ❋ ❋

* بعض المواد « تعجيزية » تافهة ليس لها أي غرض إلا سدّ خانة.

* لا تنتظر من الطلاب علاماتٍ كاملةً وأنت تحاسبهم على كل ذرة؛ فحتى العلماء لو ركّزت معهم بمثل ذلك لبرزت لك أخطاؤهم.

- «أعزائي الطلاب، لم يتبق إلا أسبوع واحد على الاختبارات النهائية! يجب عليكم ألا تخرجوا من صوامعكم طوال هذا الأسبوع! ذاكروا وادعوا ربكم أن يوفقكم ويرزقكم الدرجات الطيبة..

بالنسبة لمادة الفيزياء، لا تقلقوا لن يكون الاختبار عسيرا، بالتأكيد سيحله الذين ذاكروا المنهج مذاكرة جيدة؛ لذلك ذاكروا جيدًا وأَلِحّوا في الدعاء فثمّ بعد كل دعاء إجابة..

كما علمتم، سيقدم الاختبار علينا من وزارة التعليم، وسيضعه -بالتأكيد- معلم أقل مني علمًا وفهمًا للأمور الفيزيائية، لذلك لا أريدكم أن تُخطئوا لكيلا تشوهوا صورتي في أعين الوزارة!

ذاكروا، وركّزوا على قسم الكهرباء في الكتاب يا طلابي! ركزوا عليه.. وداعًا!».

...

بالطبع لا ندري ما هي الفيزياء في الأصل، ولا نعلم معلومة واحدة عنها منذ بداية الفصل الدراسي! لم نتلقّ لها كتابًا حتى؛ فكيف ندرسها؟ عجيب أمرهم، يريدوننا أن نخترع العلم وندرسه!

***

- «أعزائي الطلاب، عمتم مساءً.. كلمتان ألقيهما على عجالة! أفيقوا من هذه الغفلة، اتركوا هذه الألعاب وذاكروا الكتاب..

يا إلهي، ما هذا السجع! ألعاب/ كتاب

أصلح أن أكون شاعرًا، أعلم أنني المتنبي مذ كنت صغيرًا عندما أنشدت: لديّ بعض الألعاب...وقصص في كتاب!

المهم يا طلابي! لا تكونوا سذّجًا وتذاكروا للاختبارات بالطريقة التقليدية! المذاكرة فن ينبغي لكم أن تتعلموه!».

- «وما هي طريقة المذاكرة الصحيحة؟».

- «تفتح الكتاب، تذاكر.. فقط! كم هي بسيطة هذه الطريقة! إنها تذكرني بزمن البساطة، الزمن الخالي من الوساطة! انظروا كيف أُلقي السجع! تالله إني شاعر ولكن والدي أخفى عليّ هذه الحقيقة كيلا أهجوه! المهم يا طلابي افتحوا الكتب وذاكروا.. ذاكروا ولا تصيحوا؛ فصوت صياحكم ملأ أرجاء مجرة درب التبانة وأزعج المجرات المجاورة!».

- «ماذا إذا لم يكن هنالك كتاب للمادة اللعينة؟».

- «ألّف كتابًا ولا تزعجني بثرثرتك الحمقاء، الناجحون يا بني لا يختلقون الأعذار! لذا فلا تختلق الأعذار، كن مع ركب

الناجحين، والتحق بالصالحين!

يا إلهي! سجع مبهر بحق! سأترككم الآن، أمامي مستقبل مبهر في الشعر يجب عليّ أن أذهب إليه.. وداعًا».

❋❋❋

- «عاجل! وزارة التعليم تُقرر جعل الاختبار النهائي شاملًا جميعَ المواد، كلها في اختبار واحد! وتهيب بالطلاب الاستعداد الجيد للاختبار الشامل؛ لأنه لا توجد إعادة لهذا الاختبار!

ويوصي الوزير –حفظه الله– أبناءه الطلاب بالتحلي بالصبر، ونبذ التوتر جانبًا، والدعاء له بطول العمر لكي يزيد في النماء ويُغدق في العطاء

متمنيين لكم دوام التوفيق والنجاح، دمتم في سلام».

...

دقّت ساعة الصفر!

- «عزيزي الطالب، أرجو منك حل الاختبار التالي، متمنيًا لك دوام التوفيق والألَق».

انظر إليهم، الطلاب! يتصبب العرق على جباههم، بعضهم يرمُق الأسئلة وينتظر نزول الوحي، والآخر يعتصر ذهنه كي يُحضر

المعلومة الغائرة في أدغال عقله.. يُغمغم ويُهَمِهِمُ قائلًا: أعرفها، الصفحة الثالثة على اليمين، نعم إنها في الأسفل! ما هي؟ ما هي؟ يا إلهي، لقد ضاعت! تبًا لك يا أيها العقل السافل، وغدٌ بحق! أعدك أنني بعد هذا الاختبار سأرميك في أقرب سلة نفايات وأضع بصلًا مكانك! كان سيفيدني أكثر منك أيها الأحمق!

البعض يعاين بديع تصميم سقف القاعة، يتأمل جدرانها! حتى تتسنى له فرصة مناسبة ليسترق إجابة مفيدة!

وذاك الذي في زاوية القاعة، انظر إليه! يندب حظه ويعاين نحسه: أعلم أنني منحوسٌ منذ كنت صغيرًا! أنّى لي أن أغش الآن؟ أنّى لي؟

ويولول واضعًا كفيه على رأسه: المنحوس منحووووووس، ولو وضعوا على رأسه ألف فانوس!

...

- «عزيزي الطالب، استعن بالله وابدأ في حل الاختبار.. عاين الأسئلة جيدًا، وأجب عليها.تخيّر مما بين الخيارات، مع التأكيد على ضغط الخيار جيدًا، وليس الطماطم».

***

السؤال الأول: حافلة تسير بسرعة ثلاثين مترًا في الثانية، تسير

عكس اتجاه الهواء الذي يسير بسرعة خمسين مترًا في الثانية هو الآخر، إذا علمت أن كتلة الحافلة تساوي خمسة عشر طنًا مع الركاب، فكم عمر سائق الحافلة؟

أ- ######

ب- ########

ج- ########

د- #######

..

السؤال الثاني: ####### ###### ####### ######؟

أ- ########

ب- #### # #######!

ج- # ######

د- ######## ############# ###

..

السؤال الثالث: إذا ### ن ## ء ######؟ و ##### ش،

##### ك؟

أ- ##

ب- #

ج- ###

د- #

❊ خطأ في النظام، النظام متعب الآن، غير قادر على العمل

Error 405 -1

...

بالطبع حدث هذا، لم أتصور أن يحدث غير هذا أصلا! ليس لدينا تلك الإمكانيات والقدرات التي نستطيع بها إنشاء منصات تتحمل ضغط ما يزيد على عشرين مليون طالب وطالبة! حتى الأجانب الذين نستقطبهم، أجانب مزوّرون لم ينجحوا في بلادهم فرمُوا علينا رجاءَ أن يُرزقوا من قفانا لُقمة سائغة..

أعزائي الإعلاميين الطبالين! ما رأيكم الآن؟ متشوقٌ لأرى كيف ستُرقّعون هذه المصيبة.. ربّما ستضعون العيب في الأجهزة أو في الطلاب! بالتأكيد ليس في الأجانب أو في نظام الدراسة الرقمي، الأجانب لا يخطئون أبدًا، عيب عليك يا ولد!

* كطالب، عليك تنفيذ الأوامر، والاستسلام لما يحلـو للخبـراء أن يفعلوه فيك من تجارب.

* فاقد الشيء لا يعطيه، ونحن فاقدون ونريد أن نغدقَ بالعطاء.

- «أعزائي المشاهدين، مساء الخير.. بالطبع سمعتم ما حصل اليوم، صياح الديكة -أعني الطلاب- ملأ أرجاء المعمورة بأسرها، هؤلاء الطلاب يصيحون بطريقة هستيرية عجيبة! ما المشكلة إذا حدث خلل في نظام الاختبارات؟ لا مشكلة بالطبع!

أريد منكم -أعزائي المشاهدين- ألا تقلقوا، أضمن لكم أن الوزير يسير بخطى ثابتة نحو التطور والتقدم.. كما رأيتم، دمج جميع المواد في اختبار نهائي واحد في حادثة هي الأولى من نوعها..

حيوا وزيركم!

معنا الآن سيادة الوزير «ربيع شكري» في اتصال هاتفي على قناتكم الأولى «قناة المستقبل»..

- في البداية أرحب بك يا سيادة الوزير، وأشكرك على تطويرك لتعليمنا وعقليات طلابنا، لقد أحدثت طفرة نوعية بحق! من كان يحلم أن بلادنا ستصل إلى هذه الدرجة من التطور؟!

- أهلا بك يا مذيعنا العزيز، أين أنت يا رجل؟ لم أرك منذ فترة طويلة! منذ ساعة واحدة وأنا ألقنك ما تقول في هذه الحلقة على الأرجح! يجب أن تُحضر أبناءك وزوجتك وتزورني في قصري! وخصوصا ذلك الشيطان الصغير ولدك!

- نعم، بالطبع سنرتب لك زيارة عاجلة يا سيادة الوزير.. حدّثني عن رأيك في تجربة الاختبار الشامل اليوم!

- نعم بالطبع، الاختبار الشامل هو تجربة فريدة من نوعها، تجربة تستحق أن نقف أمامها ونحييها على هذا النجاح المبهر الذي حققته اليوم، والحقيقة أني قد تواصلت مع أحد الطلاب وسألته عن اختبار اليوم فقال لي: في الحقيقة أنا قد تخرجت منذ ثلاثة أعوام! وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تطوير حاصل ومستمر للتعليم في بلادنا الطاهرة وسط الأزمات الاقتصادية والدبلوماسية التي تمر بها جميع البلدان المجاورة! والتي -بالتأكيد- نجت منها بلادنا بأعجوبة أو معجزة خارقة! أوقن أن طلابنا اليوم كانوا فرحين بالاختبار، كانوا فرحين ببلادهم وهم يرونها تتطور أمامهم!

- ذهب! كلامك ذهبٌ يا سيادة الوزير.. صاحب السمو -رعاك الله- ما الذي تتطلع إليه في مشوارك التعليمي؟ وما هي مخرجات التعليم التي تطمح إليها؟

- في الحقيقة أنا أعمل على خطة طويلة المدى ستجعل بلدنا الطاهر هذا شامخا فوق هام السحب، سيسابق الدول الكبرى في المخرجات التعليمية.. لذلك أنا أهيب بجميع الطلاب أن يشكروا الله على نعمة تواجدي معهم، وزير عبقري مثلي يجب أن يشكر

الناسُ اللهَ عليه! ولذلك يا طلابي الأعزاء، سأعطي كل طالب منكم درجتين هدية مني مقدمة إليكم مجانا!

- كيف؟

- كيف ماذا؟

- كيف أنت هكذا! من أين أتيت بهذا الكرم؟!

- من بائع الكرم هه هه هه.

- هه هه هه مضحك جدًا سموَّك، سأموت من الضحك! أعزائي المشاهدين، يجب علينا أن نأخذ فاصلا الآن، إذا تغير المذيع بعد الفاصل فاعلموا أني قد متُّ من الضحك جراء هذا الضحك الذي يقدمه وزير التعليم.

- أشكرك يا صديقي، الضحك عندنا متجدد، كل يوم سنقدم ضحكًا جديدًا لا يخطر على بالكم ولا خاطركم! انتظرونا في الأيام القادمة! ينتظركم ضحك كثير معنا.

- أشكر سعادة الوزير على تشريفه إيانا في برنامجنا المتواضع، ولكن التواضع عُرف عنه منذ القدم؛ فلذلك هذا ليس مُستغربا على وزيرنا العزيز! ابقوا معي، سأكون هنا ولكن، بعد الفاااصل.

***

هكذا تسير الأمور إذًا، الموضوعُ أبسط مما تصورت! هـل تُريـد أن تكون وزيرًا ناجحًا؟ ضع فئران الهامستر -الطـلاب- في قفـص التجربة وابدأ بتحقيق أحلامك عليهم! عذبهم، اشوِهِهم، افعل بهـم ما تشاء! المهم أنك عندما تفعل هـذا سـتكون وزيـرًا ناجحًـا يرفـع الكل لك القبعة تعظيمًا وتشريفًا لك واحتفاءً بك!

بالطبع لن تكون درجاتنا هذا العام جيـدة عـلى الإطـلاق، كيـف ونحنُ لم نختبرِ؟ ولكن، ومـع كـل هـذه الظـروف! اسـتطاع راشـد الطاووس أن يصنع مالم يصنعه غيرُه!

فكّـرتُ بطريقـة لولبيـة تختلـف عـن سـائر الطـلاب! لا تنتظـر حصولي على درجة متدنية في الثانوية يا عزيزي؛ فكما قلتُ لك: سـر «التابلت» أصبح في جيبي!

لك أن تتخيل أن النظـام -حفظـه الله- أخبـرني بطريقـة مـا عـن الأجوبة الصحيحة، تودّدت إليه وأهديتـه بعـض الهـدايا، وطبقـت عليه ما تعلمته؛ حيثُ إنه نظام ركيك لا يحتاج إلى مبرمج عالمي كي يفكّه ويعرف الأجوبة المسجلة فيه، أي طفـل في الشـارع يمكنـه أن يفعل ذلك.. فما بالك بالطاووس!

أنتظر الآن مقابلة تلفزيونية مع «أسعد عيسى» المـذيع الكبيـر أو مع «سامح موسـى» أو «رابـح سـليمان» أو غيـرهم مـن المـذيعين

الكبار في هذه البلاد!

أما عن الطلاب الفاشلين الآخرين، الذين ذاكروا بمعدل سبعين ساعة في اليوم الواحد! فلن يتحصّلوا على أعلى من درجة ٤٠٪ أو ٤١٪ أو أقل على ما أعتقد، سأكون واجهة مشهورة بالعلم والذكاء والعبقرية، وسيكونون وقتها يعضون أنامل الغيظ.

لا تحزنوا، فهكذا تجري الأمور يا رفاقي!

لقد اجتهدت طوال سنواتي الدراسية، لم أكل ولم أملّ، ولكن في هذه السنة الأخيرة عرفت ما يدعى بـ «سر الصنعة» أخذت الترياق الذي جعلني أستفيق من غياهب الظنون والأحلام التي وقعتم فيها، والآن ها أنتم وها أنا.. كلنا ننتظر شيئًا واحدًا ونرمُقُه بلهفة وشوق! ننتظر «موقع النتائج» أن يحن علينا ويخبرنا بفحواه..

بالطبع لا تنتظر أن تصدُر نتائجنا بهذه السرعة، ليس بعد أن يُشوى الطلاب في غياهب الشكوك جيدًا، ليس بعد أن يظن أولياء الأمور أن أبناءهم قد رسبوا فأخفوا النتيجة؛ لكيلا يعلموا شيئًا عنها!

ليس بعد أن تراود الكوابيس أذهان الطلاب صباحًا ومساءً، مستيقظين ونيامًا!

الموضوع أكبر مما تتصور، سيأخذُ وقتًا طويلا جدًا فلا تـتمن أن يحدث الآن.

❋❋❋

– «أعزائي المشاهدين، مساء الخيرات والمسـرات والـدرجات الطيبة، معكم سامح موسـى مـن قنـاتكم الأولى «قنـاة المسـتقبل»، ونتشرف اليوم بزيارة سامية من وزير التعليم صاحب السـمو «ربيـع شكري» الذي أظهر براعة وحنكة في خفض مستوى الدرجات بعـد أن كان يناطح السحُب!

– سيادة الوزير، كيف حالك؟

– أشكرك على ثرثرتك الفارغة التي بدأت بهـا هـذه الحلقـة، إني أحب الكلام الفارغ كثيـرًا.. في الحقيقـة أريـد أن أخبـرك أني أسـعد الناس، اليوم يومٌ عظيم؛ فقد صدَرت الدرجات في غضـون شـهرين فقط من انتهاء الطلاب للاختبار الشامل! أليس هذا عظيمًا؟

– بلى، بالطبع عظيم!

– لقد كانت معدلات الرسوب كبيرة جدًا هذا العام! أتدري على ماذا يدُل هذا؟

– يدل على نجاح المنظومة التعليمية بالطبع!

- أحسنت! أنت مذيع رائع، وإلا لماذا عينوك طبالًا للنظام التعليمي؟ في الحقيقة، ومع سوء النتائج وتدنيها حصل ما لم أكن أتوقعه! لقد حصل أحد طلابنا الأعزاء على الدرجة الكاملة في الاختبار الشامل!

- ماذا تقول؟ يا إلهي! الدرجة الكاملة؟!

- نعم الدرجة الكاملة! رأيتها بأم عيني! ١٠٠٪ هكذا!

- قل لنا اسمه يا سيدي، كي يعلم المشاهدون نتيجة العزم والمثابرة في تحقيق الأهداف ونيل المراد رغم الصعوبات!

- إنه رابش سمك الفقوس على ما أعتقد.

- احم، راشد عوض الطاووس يا سيدي!

- نعم نعم، إنه راشد سمك الطاووس هذا! عبقري بحق! يجب أن يُقبل في أكبر جامعات الدنيا على الإطلاق! حتى لو وصل الأمر إلى أن أتوسط له شخصيا في القبول في الجامعة الكبرى!

- أتقصد تلك الجامعة المشهورة؟

- نعم! جامعة «كوانجهام».

- يا إلهي! أصابني صداعٌ من عظمة أفعالك يا سيدي! بالله قل لي

كيف؟

- كيف ماذا؟

- كيف تجتمع كل هذه الصفات الجميلة في شخص مثلك؟ مبهر بحق! ولكن يا سيدي، أريد أن أخبرك شيئا..

وصلني أن شرذمة قليلة من الطلاب وأولياء أمورهم معترضون على المنظومة التعليمية، فماذا تقول لهم؟

- بالطبع توقعت أن هذا سيحدث لا محالة، ولكن السؤال هنا.. هل هم مهندسون؟

- لا أدري، أعتقد أنهم غير ذلك.

- إذًا الآن بانت العلة! هم ليسوا مهندسين، لو كانوا مهندسين لما قالوا هذا الكلام! لا يحق لهم أن يعترضوا عليّ أبدا! أتدري لماذا؟!

- لماذا يا سيدي؟

- لأنني مهندس! مهندس أيها الأوغاد! وعلى البشر العاديين عندما يرون مهندسا يتحدث أن يُذعنوا ويسمعوا بإنصات!

نحن مهندسون! وأنتم لن ترتقوا إلى منزلتنا! الفرق كبير يا

حضرات، الفرق كبير!

- ولكن يا سيدي...

- انتظر يا سامح، أنا لا أتمالـك أعصـابي، أكـاد أختنـق! عشـنا ورأينا بشرًا يعدّلون على مهندسين! عشنا ورأينا!

***

## يستفاد

* وظيفة الإعلام هي مداراة الأخطاء لا توضيحها، أهم شيء هـو أن نعلم أننا أفضل بكثير ممن حولنا.
* في الأنظمة المختلّة، لا تلم على غاشٍّ تفوّق، ولكن لم نظامًا وفّق بين الغشِّ والتفوّق.
* إذا لم يسقط الضاربون بالدف، فلا تنتظر تقدُّمًا.
* تفوُّقك في الهندسة أو الطب أو ما نحوَها لا يمكِّنُك من تقلُّد منصب حساس كوزير التعليم.

عَبدُالرَّحمَن سَيِّد خَلَف

# دُبٌّ شَارِد

يبدو أن الجامعة بالفعل تحمل لي قدرًا كبيرًا من الحنـان الـذي لم أشعر به من قبل، يبدو أن الحياة ستنفتح لي على مصراعيها، وغمامـة الظلام ستنزاح عـن وجهـي أخيـر! يكفـي أن أنظـر إلى كـم الحنـان واللطافة في البريد الذي أرسلَتهُ ليَ الجامعة حتى أعرف معـالم حيـاتي الجامعية الجديدة، تلك الرحلة التي سأصبح بعدها رئـيس دولـة أو حتى وزيرا في أسوء الأحوال.

«عزيزي راشد عوض الطاووس، بـلا تحيـة، كيـف حالـك؟ لا يهمنا الأمر.

لسـوء الحظ،قـد تـم اختيـارك للدراسـة في جامعتنـا المرموقـة المبجلة العظيمـة «جامعـة كوانجهـام»، التـي –حتمًـا– ستتشـرف بالدراسة بـين جنبيهـا! في العـادة لا نقبـل هـذا النـوع السـافل مـن الطلاب أمثالك، ولكـن يمكنـك أن تقـول إنـه حـدثت المعجـزة، بالتأكيد لم نقبلك لأجل سواد عينيك، أو جمال طلّتك!

فيكفي أن تنظر إلى أنفك الذي يشـبه المخـروط؛ لكـي تتقيّـأ أو تُلقى مغشيّا عليك؛ولكن قبلناك لأجل أنك تستطيع تصميم مقـاطع فيديو كرتونية ببراعة كما كتبت في السيرة الذاتية الخاصة بك.

نرجو أن تحضر إلينا في المكتب الذي يمثلنا في دولتـك، وتـري رئيس مكتبنا براعتك في صنع تلك المقاطع، وإذا أعجبتـه سنضـطر

إلى أن نقبلك لدينا، ولا تنس أن تُسلم لنا على جدك الطاووس، نمت مساءً!

أسوء التحيات، جورج بيكس».

انظروا كيف يكون الحنان والحب متمثلين معا في رسالة!

خصوصا عندما قال «عزيزي». أنا أشُك أن رئيس الجامعة كان جدّي الطاووس أو ما شابه، ولكن الشيء الذي أنا متأكد منه تماما هو أنني عضو مهم جدا؛ لذلك قبلتني تلك الجامعة المرموقة في المملكة المتحدة، وإلا فلماذا قُبلت إذًا؟!

لا بأس، سأبدأ من الآن في التدرب على برامجي الخاصة؛ لكي أبهر السيد جورج بي أكثر من انبهاره الذي عبّر عنه في أحشاء الرسالة.

❋❋❋

- «في الحقيقة أريد أن أخبرك يا.. ما اسمك؟».

-«راشد.. ر.. راشد عوض الطاووس».

- «نعم، راشح شاي المكبوس، قد أعجبني عملك جدا، مبهر بحق!

ولذلك قررت أن أجعلـك تعمـل عنـدي في المكتـب بـدلا مـن الدراسة في الجامعة».

- «ما الذي تقول؟ ولكن...».

- «أعلم يا سامح جاب الدبوس، إنني أمزح فحَسْـب.. مـا هـذا الاسم الغريب يا هذا؟ أما وجدتم من الأسـماء غيـر هـذه الأسـماء الصعبة؟!

المهم أنني سأرسل تأكيدا إلى الجامعة لكي تـتم عمليـة قبولـك، إنك محظوظ لكي تحصل على مقعد في تلك الجامعة المرموقة التي لا أتذكر أنها قبلت سافلا غيرك، أتمنى ألا ينحدر التصنيف العـالمي للجامعة بقبولها لك.. على كل حال شكرا لك، سأتصل بك لاحقـا، اخرج من مكتبي الآن.. ولكن ذكرني باسمك؟»

- «راشد يا سيدي، اسمي راشد».

- «اسمك ما زال صعبا علي، لذلك سأسميك «ماكس» على اسم الكلب الخاص بي، ولكن دعني أستأذن الكلب أولًا، وداعًا».

***

بالتأكيد لا يريد السخرية مني، انظروا كيـف قـال لي شـكرًا بكـل تهذيب ولباقة، هذا إن دل على شيء فإنمـا يـدل عـلى أننـي شـخص

مطلوب دُوَليا؛ لذلك يجب أن أُعامل باحترام بالغ وإلا رفضت عرض جامعتهم بِرُمّته، وبذلك سيكونون قد خسروا شيئًا كبيرًا لن يستطيعوا تعويضه.

❋❋❋

– «مرحبًا، رابح حسين المحبوس.. أنا السيد جورج رئيس المكتب».

– «أهلا وسهلا، ولكن اسمي راشد حسين المحبوس! أقصد راشد عوض الطاووس».

– «نعم أتذكرك يا رائد، سميتك على اسم كلبي، لا أريد أن أثرثر معك كثيرًا يا ماكس، موعد طائرتك هو يوم الخميس المقبل الساعة الثانية مساءً، لا أريد أن أكرر الكلام كثيرًا! الثانية مساءً،أتفهم؟».

– «سأكون هناك ع...».

– «كفاك ثرثرة يا ماجد، وأنصحك بتغيير اسمك الصعب هذا.. وداعا».

...

أخيرًا آن لي أن أركب الطائرة! يقولون إن الطائرة قد صممت بطريقة بديعة!

- بطريقة أم بِطْريق؟ ههههههههههه

ما هذا يا عزيزي القارئ؟! ما هـذا المسـتوى المتـدني في إلقـاء الدعابات؟ لا تمازحني مرة أخرى، إنك ثقيل الدم!هل تعلم أن هذه الـ «قَلْشة» -على قولة المصريين- يمكن أن تسـبب فشـلا كلويـا أو حتى سكتة قلبية لمن يسمعها؟!

وما هذه الضـحكة السـاذجة؟ لقـد سـمحت لـك أن تُشـاركني حياتي، ولكن ليس بهذه الطريقة!

عش معي ولا تُلقِ مثل هذه الدعابات مرة أخرى..

كنـا نتحـدث عـن الطـائرة! نعـم إنهـا الطـائرة، يقولـون.. مـاذا يقولون؟

سُحقًا! لقد قطعت حبل أفكاري.

ولا تقل لي أحضر حبل أفكار جديدًا؛ لكيلا أطردك خارج حيـاتي نهائيا ورب العزة!

سأجعلك تذهب معي إلى المطار بشرط ألا تتفوه بدعابة واحـدة مثل هذه! أنت لا تدري كم تعبت لكي أصدر لك جواز سفر وأقطع لك تذكرة!

لم تر نظرة الضابط إلي عندما كنت أطلب إصدار جواز سفر لقارئ، لقد أُصدر هذا الذي بين يديك بأعجوبة! لذا، لا تجعلني أغيّر رأيي أرجوك.

***

«على السادة المسافرين ربطُ الأحزمة؛ إيذانًا بإقلاع الرحلة

F307

المتجهة إلى مطار هيثرو بلندن بعون الله، نرجو منكم إغلاق الهواتف المحمولة، وإذا سألني أحدكم لماذا؟ فسأقول له: لأنه إذا اتصل بك أحدهم فستوقظ وحش الجو المفترس، وسيأتي ليبتلع الطائرة حتمًا. أما إذا قال لي أحدُ العباقرة: هل يوجد شبكة جوال في الطائرة أصلا لكي يتصل بي أحدهم؟ فسأرميه خارج الطائرة؛ لأني لا أحب الراكب المتفلسف!

يجب أن أذكّركم أن المضيفين والمضيفات ليسوا خُدّاما عندكم، لذا فكلموهم باحترام وأدب.. يُستحسن أن تناموا لكيلا تُزعجونا بطلباتكم، إن كان عندكم بعض الآراء عن جودة الطائرة والإقلاع والهبوط أو حتى طاقم الطائرة؛فاكتبوها في ورقة وَضعوها في جيب المقعد الذي أمامكم، ونحن نعدكم أن نرميَها في سلة المهملات عوضًا عنكم. تحياتي: قائد الطائرة».

مساء الخير أيتها المملكة المتحدة، مساء الخير يا لندن!

أكثر ما أعجبني في هذه الرحلة هو الذوق والأدب، خصوصا الطيار، قمة في التواضع والاحترام، والمضيفون هم الآخرون، قمة في كرم الأخلاق، خصوصا عندما طلبت من أحدهم وجبة الدجاج، وأعطاني اللحم بدلا من الدجاج!

يريد أن يعلمني درسا، أن الحياة لا تُعطيك ما تختار أنت، بل تعطيك ما تختاره هي.

بالطبع يتحدث الناس هنا باللغة الإنجليزية، ولولا أني أعلم أنك يا قارئي العزيز لا تُجيد الإنجليزية لكتبت الحوار باللغة الإنجليزية، بالمناسبة، أنا لا أجيدها أيضًا؛ لذلك يجب أن نستعين بترجمة جوجل لكي نفهم ما الذي يحدث.

***

- «مرحبا بك في لندن يا سيدي، أعطني جواز سفرك رجاءً!».

- «هاك جواز السفر، من فضلك دع عنك الانبهار بجواز السفر الآن؛ فأنا أتلهف شوقًا لزيارة دورات المياه!».

- «ألهذه الدرجة دورات المياه عندنا مشهورة في بلادكم؟ غريب حقًا! ولكن انتظر سأبحث عن شيء! لا تدري لعلي أجدُ شيئًا

أحبسك به! انتظر بضع دقائق فقط!».

- «لا أستطيع، أنا قادم إلى بريطانيا خصيصًا من أجل زيارة دورات مياه مطار هيثرو! من فضلك استعجل! لا أستطيع الانتظار! لا أستطيع!».

- «أرى أن بعض القطرات بدأت تتسرب، انتظر دقيقة واحدة فقط! لا تدري كم أتمنى أن تزور سجننا! إنه أفضل من دورات المياه! الوجهة الأولى للسياح السفلة أمثالك! بضع ثوان فقط! بضع ثوان!».

- «يا رجل! ارحم أمي لا تجعلني أفقد السيطرة! المخزن قد امتلأ ولا أدري، قد يتفجر في أي لحظة!».

- «هاك جواز سفرك، حظًا سعيدًا في دورات المياه!».

...

بالطبع لا تحزر ماذا حدث بعدها ولا تفكر فيه..

الشيء الوحيد الجديرُ بالذكر في هذا الموقف العفن، هو أن دورات المياه -أكرمكم الله- ليس بها ماء!

قلتُ إنهم متطورون، بالتأكيد لن يضعوا سطلًا في دورات المياه، أو شطافة!

بالتأكيد أنهم أحدثُ من ذلك، بلادٌ متقدمة صناعية متطورة، لا يجدر بها أن تضع هذه الأشياء البدائية التي لا تنمو إلا في دول العالم الثالث!

مكثتُ أنتظر الماء كي تنفتح به أبواب السماء أو تنفجر به الأرض عيونًا! وبدأت أستعد كي أرى بديع صنع الإنسان! ولكن يا لوقاحة الإنسان!

لقد جعلني الإنسان أبكي في هذا الموقف، يا لوقاحتك يا رجل! يا لوقاحتك!

بالطبع لم يُرسل الماء إليّ عن طريق الموجات الكهرومغناطيسية، أو عن طريق الأشعة الكونية.. بل الحقيقة أن الماء معتزل هذه الأماكن نهائيًا.

اكتشفت فيما بعد أن الماء جشع، يطلب مبالغ طائلة؛ لذلك استبدلوه بالمناديل الورقية الناعمة المتواضعة التي لا أدري أهي أقل ثمنًا من الماء أم أكثر.. وأما عن النظافة فلا يهمنا أمرها!

أعلم أن سؤالًا يجول في خاطرك الآن، اكتبه في ورقة وقطّعها وانثُرها في سلة المهملات؛ فقد بدأت رائحة الكتاب في التغير!

يجدر بالجامعة أن توفر لي مترجما وبيتا في هذه البلد الغريبة! قد

استدعوا أمهر صانع مقاطع كرتونية في العالم.

والآن عليّ تفقد الأوضاع هنا، بالتأكيد ستحضر لي الجامعة مفاجأة! قصرا به خدمٌ أو ما شابه!

❋ ❋ ❋

**❋ العلامة الفاصلة التي تقيس بها البلدان المتطورة الذكاء هي : كمُّ المهارات وإتقانُها.**

**❋ عجيبٌ أن يكون الطالبُ يريد الخروج من بلادنا بأي ثمن، حتى على حساب كرامته..**

**❋ تتضارب الثقافات، ولكنَّ في عقولنا ثغرة ترغمنا على الخجل من ثقافاتنا.**

«مرحبًا، سيد جورج لقد وصلت إلى مطار هيثرو، ولكن لم أجد من يستقبلني هنا».

- «نعم، ماذا تريد؟».

- «لقد وصلت إلى مطار هيثرو، ولكن لم أجد من يستقبلني».

- «لقد قلتَها من قبل يا أحمق، ماذا تريد؟».

- «إلى أين ينبغي أن أذهب الآن؟».

- «اذهب إلى الجحيم، ما دخلي بك؟».

- «أنت مدير مكتب الجامعة، كيف ما دخلك بي!».

- «نعم لقد تذكرتك،أنت مالح سمك الهامور».

- «اسمي رااشد، أو ماكس! لقد سميتني على اسم كلبك».

- «حسنًا يا وائل، اذهب إلى شارع سان كواترو في جنوب لندن، ثم اسأل عن نزُل طلاب جامعة كوانجهام وسيرشدك أحدهم».

- «وما الإثبات لكي أدخل المدينة الجامعية؟».

- «لقد تحدثت مع أصدقائي هناك عن أنفك التي يشبه المخروط، إذا رآك أحدهم سيسخر منك قليلا ثم يدخلك، لا تقلق».

❋❋❋

- «مرحبًا بك يا سيدي! ما هذا الجمال! أجمالك هذا أم جمال عبد الناصر؟ أمزح معك فحسب! لا تبصق في وجهي رجاءً!».

- «ماذا تريد؟».

- «أنت لست من بريطانيا، صحيح؟».

- «نعم، لم ترد علي يا رجل! ماذا تريد؟».

- «أتريد توصيلة إلى أي مكان في لندن؟ أعلم جميع طرق لندن وأحياءها! يسمونني دلّال لندن!».

- «ولماذا يدعونك «دلّالَ لندن»؟».

- «لأنني أدللها كل صباح! أقول لها يا حبيبتي يا لندن، يا أيها المدينة الجميلة الطيبة! أدللها أكثر مما تدلل أنت قُرّاءك حتى!».

- «كذبت في هذه أيها العجوز! لا يوجد أحدٌ يدلل قراءه أكثر مني!».

- «إلى أين تريد الذهاب؟».

- «إلى نُزُل طلاب جامعة كوانجهام».

- «جامعة كوانجهام؟ أأنت طالب من طلابها؟».

- «نعم بالتأكيد! ألا يظهر على هيئتي؟».

- «ولكن هذه الجامعة لا تقبل إلا الأوائل والمتفوقين! لا أذكر أنها قبلت هذا النوع السافل من الأشخاص!».

- «كف عن هذه السخافة أيها العجوز! كم سأدفع لكي توصلني؟».

- «مئة جنيه تكفي».

- «كم؟ أتمازحني؟».

- «مئة جنيه يا رجل! ألا تسمع؟».

- «لن أدفع أكثر من تسع وتسعين جنيهًا! أمكتوب على جبهتي «أبله»؟».

- «أشك في أن المسؤول الذي قبلك في جامعة لندن الأولى أصابه خرف أو أنه كان ثملا أو ما شابه! يجب أن تتم إعادة النظر في قبولك.. قبول مشبوه! ضاعت سمعة جامعة كوانجهام! ضاعت!».

- «تسعٌ وتسعون! لن أزيد عليها جنيها واحدًا.. انتظر! أتتعاملون هنا بالجنيه المصري؟».

- «وهل لا يوجد جنيه إلا الجنيه المصري؟ يوجد لدينا جنيه خاص بنا! ندعوه الجنيه الإسترليني!».

- «ولماذا تستخدمون عملة إسترلينيا؟ ولا تستخدمون عملة

مصر؟ ما هذه العنصرية؟!».

- «إسترلينيا؟ عنصرية؟ اسمع أيها الأبله! أتريد الركوب أم لا تريد؟».

- «بتسع وتسعين جنيها فقط!».

- «هيا، حمّل حقائبك! لا أدري من أين حُدفت علينا هذه البلوى؟!».

❋❋❋

أريد أن أقول لك إن الشوارع هنا نظيفة بشكل غير عادي، المباني مصممة بطريقة راقية تجذب الناظر، المساحات الخضراء، والغابات الكثيفة والمتنزهات والبحيرات! رائعٌ حقًا.

يكفي أن تأتي إلى بريطانيا، وتستأجر سيارة أجرة –بتسع وتسعين جنيها– وتستمتع بهذه المناظر الخلابة..

أما أنا ففعلت فعلتي المفضلة التي أفعلها دائما! فتحت زجاج نافذة السيارة وبدأت في التأمل وأخرجت لساني وجعلته يتدلى مثل الكلاب عندما تخرج ألسنتها لتحلق في الهواء الطلق!

❋❋❋

- «مرحبًا، أيَّ بقعة في لندن تقصدون؟».

- «نريد أن نذهب إلى نزُل طلاب جامعة كوانجهام، معي طالب من طلاب هذه الجامعة أريد أن أوصله إلى السكن الخاص به».

- «من أين جئتم؟ وأين هذا الطالب؟».

- «لقد جئت من المطار يا سيدي الشرطي، وأما الطالب فهو هذا، انظر إليه يا سيدي! مستلق في الكنبة الخلفية».

- «هل هو ميت؟ لا ليس ميتًا؛ فصوت شخيره جعلنا نعلن حالة الطوارئ في البلاد!أيها الأبله قم! هل لأحد أن ينام في سيارة أجرة!».

- «ن.. نعم تسع وتسعون جنيها فقط! أنا لست معتوها لكي أدفع مئة جنيه! لست معتوها!».

- «هل هو ثمل؟».

- «أعتقد أنه ثمل بطبيعته!».

- «كيف لجامعة كوانجهام أن تنحدر لهذا المستوى؟ ما اسمه؟».

- «أتذكر أن اسمه طابوس».

- «طابوس، قم يا طابوس! أين بطاقتك الجامعية؟».

- «ب.. بطاقة؟ أم دون طاقة؟ هه هه».

- «أشك في أنك عربيد مخدرات! أنزل هذا الكلب هنا واذهب».

- «بالنسبة إلى أجرتي يا سيدي! مِن مَن آخذها؟».

- «الظاهر لي أنك تريد أن تبقى معه، وتذهب إلى حيث يذهب!».

- «اعذرني يا سيدي، لا أريد بالطبع!».

- «يا رجال! أخرجوا هذا العجل من السيارة، أريدكم أن تأخذوه جولة أو جولتين في سجن «وِستون» هيا!».

- «سجن «وِستون»؟ لا أريد هذا السجن!».

- «لا تريده؟ أي سجن تريد؟».

- «سجن «وسبعون» هه هه هه».

- «الظاهر لي أنني سألبّسك قضية قتل بسبب تلك الدعابات الساذجة التي تلقيها! ما هذا المستوى المتدني من الدعابات؟».

- «هل سجن وستون به سرير ومخدة؟».

- «به كل شيء يا رجل! ستسعد كثيرًا في بريطانيا! بل إني سأكون المشرف السياحي لك في سجن وِستون».

...

بالطبع لم يكن سجن وستون لطيفًا على الإطلاق! لم تعجبني الخدمة هناك أبدًا!

ليس كسجوننا بالطبع، تلك السجون التي تحوي الكنوز الإجرامية الثمينة.

لقد أقمت في سجن وستون ليلتين، ما وجدت فيها شخصًا يُرى على وجهه علامات الإجرام! بل تحسّ للوهلة الأولى حين تنظر إليهم أنهم أئمة مساجد..

وهذا لم يعجبني بصراحة! أين المجرمون إذًا؟ ألا يوجد؟

بالطبع لم أكُن ثملا بالأمس! ولكن الرحلة الحلزونية الطويلة تلك أرهقتني كثيرًا؛ فأصابني ذلك بالجنون!

الموضوع ليس بالهيّن؛ فرحلة طويلة هكذا وبها محطتا توقف، ستكلفك عشرين ساعة على الأقل لكي تصل إلى مطار هيثرو..

لا أدري كيف تحملت هذه الرحلة الشاقة!

حمدًا لله أني سُجنت هذه الليلة، الأكل مجاني والشرب مجاني! لا أريد أن أصفه بأنه سجن وستون بعد الآن! إنه بوفيه وستون المفتوح! حقًا!

كان إفطاري هناك مكونا من الجبن الرومي الطري، مع بعض من العسل والخبز الفرنسي الطويل ذاك!

حتى صحتي كسجين لا يزهدون فيها..

وددت لو أني أقمتُ هنا بدلًا من سكن الجامعة..

✱✱✱

- «راشد عوض الطاووس، انهض أيها القذر! واذهب إلى السيد تشارلي في مكتبه!

قُم، هيا لا تكن كسولًا! وإلا أحضرت لك الكلب رِكس!».

- «يا سيّدي كلنا كلاب! أحضر ركس وأم ركس وعائلة ركس كلها، ولكن لا تحضر أنتمعهم».

- «راشد! كف عن الهراء.. قم وإلا أحضرت السكين وقطعت به البصل أمامك حتى تحمرّ عيناك!».

- «لا يا سيدي! إلا البصل! سأذهب ولكن لا تُحضر البصل!».

- «هكذا أنتم! لا ترضخون إلا بالعين الحمراء!».

...

- «مرحبًا يا بني، راشد الطاووس.. أنت من طلاب جامعة لندن الأولى، تلك الجامعة العريقة، جامعة كوانجهام! أتدري يا راشد؟ لم تُسجل مخالفة سلوكية واحدة على أي طالب من طلاب تلك الجامعة من يوم أُسست في عام ١٩٢٠!

والآن، أنت تلطخ سمعة جامعتنا السامية بالقذارة التي تفعلها! يجب عليك أن تخجل من نفسك، لم تمكث في لندن عدة ساعات حتى ارتكبت سابقة إجرامية!».

- «سابقة إجرامية؟ ماذا فعلت؟!».

- «الآن تأكدت أنك كنت سكرانًا، يجب أن نجري لك فحوصات لنتأكد أنك لست مدمنًا على مادة مخدرة! يجب أن تخجل من نفسك يا فتى! شاب في التاسعة عشر من عمره، ريعان شبابه! ويفعل مثل هذه الأفاعيل؟! سحقًا لك!».

- «ماذا أفعل الآن لكي أُكفّر عن ذنبي؟».

- «لا شيء، اغرب عن وجهي.. ستخرج من سجننا الطاهر اليوم! لا أريد أن تبقى هذه الأشكال بين جنبي سجني!».

- «سجني هذه عاصمة أستراليا صحيح؟».

- «ماذا تقصد؟».

- «تشابه ألفاظ.. سجني وسدني عاصمة أستراليا، اضحك!».

- «هه هه هه، بيتر! يااااااا بيتر!».

- «نعمسيدي!».

- «اتصل على زوجتي في البيت وعلى وزير الداخلية وعلى رئيس الوزراء حتى! وأخبرهم أن يضحكوا، نعم أخبرهم بذلك! هه هه هه».

- «سيدي، لقد اتصلت بهم وأخبرتهم ما تريد! ولقد ترك لي رئيس الوزراء رسالة لكي أوصلها لهذا الطاووس».

- «قُصّها عليه، بسرعة قبل أن يذهب».

- «يقول لك رئيس الوزراء يا راشد: ~~ههههه ههههه~~

ضحكنا وضحك كل من في البيت وكل من في بريطانيا

حتى الجيران ضحكوا لأجل أننا ضحكنا،وكذلك اتصلنا بكل من نعرفهم في البلدان المجاورة وضحكوا جميعا..

يا لخفة دمك،إنها مدهشة!

من اليوم فصاعدًا يتم تغريم كل شخص يلقي دعابة مثل هذه الدعابة الفاسدة، خمسين ألف جنيه إسترليني! وأولهم هذا الطاووس إن أعاد إلقاء هذه الدعابات مرة أُخرى!».

...

هذه أول بصمات راشد الطاووس فقط يا بريطانيا!

في أول يوم أحدثتُ قانونًا جديدًا، ماذا لو مكثت شهرين فقط؟ سأصبح رئيس الوزراء بالطبع!

هذا ما أسميه شخصيًا «تأثيرَ الطاووس»

أعزائي سكان هذا الكوكب، عندما أحكمكم سأُذللكم، سأجعل سكان كواكب المجموعة الشمسية كلها يتمنون لو أنهم يقيمون لحظة واحدة فقط على الأرض! بعد ذلك سأترككم وأخرج إلى المريخ في جولة سياحية، وسألقي عليكم الرؤوس النووية من المريخ.. ستموتون بسلام، وداعًا!

موتًا هنيئًا..

...

لا تدري -يا قارئي العزيز- يمكن أن يصبح هذا الحلم حقيقة وأصبح زعيم العالم كله عند نهاية الكتاب، وترى الرؤوس النووية

تتساقط من المريخ على كوكب الأرض.. لا تدري!

بالطبع لا تكن ساذجًا وتفتح الكتاب من نهايته؛ فلن أصبح كـذلك إلا لو أكلت الذبابة الصخر، أو أُدخل الجمل القِدر! ولن أصبح كذلك حتى لو قال شخص مصري لفظة «الثلاثـاء» هكـذا بشـكل صـحيح! وليس «السلاساء» أو «الثلاساء» أو «السلاثاء» مثلا..

لذلك أريدك أن تطمئن وتقطع حبال الأمل.

✵✵✵

- «سيدي هل أوصلك؟ إلى أين تود الذهاب؟».

- «أريد أن أذهب إلى السكن الجامعي لجامعة كوانجهـام.. هـل تعرفها؟».

- «وهل من أحد لا يعرفها يا سيدي؟ أشـهر جامعـة في بريطانيـا على الإطلاق! هل ستزور طالبًا من طلابها أو شيئًا من هذا القبيل؟».

- «أنا أحد طلابها!».

- «غريب، طلاب هذه الجامعة لا يخرجون من الحرم الجامعي نهائيًّا! لا يخرجون أبدًا!».

- «لا بأس، لا أريد أن أثرثر معك كثيـرًا.. يمكـن أن تقـول إنهـا

حدثت المعجزة!

والآن هل ستوصلني أم لا؟».

- «بالطبع يا سيدي بالطبع!».

- «كم ستبلع من المال جراء هذه التوصيلة».

- «ثلاث جنيهات فقط يا سيدي!».

- «ثلاثة؟! أيها اللص القذر!».

- «لا أريد أن أضايقك، جنيهان يفيان بالغرض».

- «لا أقصدك أنت، بل أقصد لصّا آخر، قل لي! كم تتكلف توصيلة من المطار إلى سكن الجامعة؟».

- «سبع جنيهات، أو عشرة بالكثير!».

- «أيها اللص السارق! قسما بالله لو لقيته لجلدته سبعين جلدة! ولعلقته على بوابات لندن!».

- «هوّن عليك يا رجل! جسمك لا يحتوي في تركيبه إلا على الشحم! ولا شيء غير الشحم..

لن يساعدك على فعل كل هذا، أعتقد أن ذلك اللص هو من سيفعل بك هذا! اركب ولا عليك».

- «وما اسمك أنت؟».

- «أناماك».

- «ماك؟ ماكدونالدز؟».

- «نعم ماكدونالدز فرع شمال لندن! الظاهر أن جامعة كوانجهام قد خابت وخاب طلابها.. أخشى ما أخشى أن ينخفض ترتيبها على مستوى العالم لقبولها هذه الأشكال السافلة».

- «ماكدونالدز! لا تثرثر كثيرًا! لو عرفتني وعرفت إنجازاتي في بلادي لما تفوهت بهذا الهراء!».

- «أريد بعضًا منها، أخبرني هيا!».

- «أنا الوحيد الذي قال لي أستاذ الفيزياء: أنت شاطر، وأنا الوحيد الذي حصلت على درجة كاملة في اختبار الأحياء.. كذلك أنا الطالب الوحيد الذي حصل على الدرجة الكاملة في اختبار القدرات! أليس كل هذا كافيّا؟».

- «مهلا يا رجل! هل الحياة في بلادكم كلها عبارةٌ عن دراسة فحسب؟! الحياة تتضمن أكثر من ذلك».

- «للأسف نعم، الدراسة ولا شيء غير الدراسة! نحن مراهقون يا

ماكدونالدز، مراهقون! محشورون في أنبوب الدراسة ليل نهار! وإن خرجنا من الأنبوب لأهاننا الجميع! لقد تحولنا بهذه الحركة إلى سذّج، ليس لديهم أي مهارة من المهارات الحياتية، لا يستطيعون أن يعيشوا بمفردهم ولو للحظة! وهذا كله بسبب حشرنا في هذه الزجاجة اللعينة!

انظر لأي مراهق عندنا في شوارعنا! أريدك أن تلقي عليه التحية فقط، وستجد أحاديثه كلها عن الدراسة، ستجدها كلها عن المدرسة! طالع أي كتاب من الكتب التي تصف المراهقين لدينا! ستجدها محشورة في المدرسة فقط! لا شيء غيرها!».

- «خخخخخخ خخخخخخ خخخخخخ».

- «أعلم أنك نمت، قم أيها الوغد!».

- «ن.. نعم ماذا تريد؟».

- «سكن طلاب تلك الجامعة اللعينة! ما زلنا في مكاننا يا رجل! أسرع!».

- «كانت أفضل نومة نمتها في حياتي! وماذا كنت تقول؟ مراهقون، نعم أكمل».

- «أُريدك أن توصلني وتأخذ أجرتك من سُكات! أنا المخطئ أصلا أني شكوت لمعتوه مثلك! ولكن لا لوم عليك؛ فكل من تُقصّ

عليه أحاديثنا ومشاكلنا يغط في النوم مثلك!

يااا ماك؟! أنمت مرة أخرى؟!».

- «لــ.. لا بالطبع، غفوة بسيطة فقط».

❋❋❋

**❋ الجيل الناشئ لدينا ساذج، بدرجـة لا تجعلـه يـدير حياتـه بنحـو صحيح؛ وذلك لأنه كان في كبسولة، معزولًا عن الحياة.**

**❋ الخارجُ من بلادنا يرى كلَّ شيء خارجَها جميلًا، حتـى لـو كـان سجنًا؛ لأن السجن هناك محضُ حريّة بالنسبة له.**

**❋ عقلُ الجيل لدينا محبوسٌ في بوتقة الدراسة، ما إن ينفتح له الباب على الحياة فستجده لا يستطيع التحليق؛ لأن جناحيـه لم ينمُـوَا بعد.**

- «مرحبا بك يا سيدي، بطاقتك الجامعية رجاءً».

- «في الحقيقة، هذه السنة الأولى لي، لم أتسلم البطاقة الجامعية بعد!».

- «أتظن أنني سأقول لك الآن: يااا حرام، نسي بطاقته؟ أتظن أنني سأبكي على قصتك الملحمية التي تجهزها الآن لكي تقنعني بها؟ أين البطاقة؟».

- «لم أنسها، صدقني! لم أتسلمها حتى.

يا صديقي، أنا طالب في السنة الأولى. كيف أتحصل على بطاقة وأنا لم أدرس في الجامعة بعد؟».

- «لا دخل لي بهذا الهراء، معك بطاقة؟ ستدخل، ليس معك بطاقة؟ لن تدخل، انتهى الكلام وطار الحمام».

- «هل تعرف السيد جورج؟».

- «أي جورج فيهم؟».

- «جورج الأسمر!».

- «اسم والده الأسمر؟».

- «تبًا لك، كم أنت غبي يا هذا! أقول لك إنه أسمر وقزم! صغيرٌ

مكير، سمين وكرشه كبير!».

- «نعم عرفته! انتظر هل أنت كلب السيد جورج؟».

- «هل تراني كلبًا؟».

- «نعم، مرحبًا بكلب السيد جورج! لدي هنا طعام كلاب فاخر جهزته لك خصيصًا، إنني أنتظرك منذ زمن بعيد! منذ خمس دقائق على ما أعتقد».

- «لستُ جائعًا الآن، كله أنت.. هل لي أن توصلني إلى غرفتي؟».

- «بالطبع يا ماكس، أنت أعجوبة بحق! كلب متكلم! في حياتي لم أر كلبًا متكلما بهذا الحجم وهذا النوع! صحيح، وددت أن أسألك: من أي أنواع الكلاب أنت؟ وكم سعرك؟ حلمي هو أن أشتري كلبًا مثلك!».

- «أشكرك على تكلبك معي، بالطبع أنا من الكلاب المسعورة كما تعلم! كلمة واحدة أخرى وسأنهش لحمك هنا! لن أترك منك قطعة إلا وَزُرتها.. هيا تقدمني وأرني غرفتي، وإلا...!».

- «بالطبع يا سيدي، بالطبع! من هنا، هذا الاتجاه يا سيدي».

***

يجب أن أخبرك أنه على قدر كبر هذه الجامعة، على قدر عفانة سكن طلابها!

أخبروني أن الموضوع صعب، ولكني لم أتخيل أنه صعب لتلك الدرجة المقززة..

الجامعة الأولى في إنجلترا، منبع العلم وبلا وبلا بلا!

كل هذا بلا سكن آدمي لطلابها حتى؟!

يجب أن أشيد بالمعماري الذي صمم تلك الجامعة، مبدعٌ بحق! لقد وضع الجمال وكنّهُ في تلك الجدران العتيقة المزخرفة!

الجامعة عبارة عن تُحفة معمارية فخمة، تسُرّ عين الناظر إليها..

عندما أرى ذلك المصمم، بالتأكيد سأحييه وأصفق له كثيرًا، ولكن سأصفق له على وجهه!

ما هذا يا رجل؟ أليس لسكن الطلاب عليك حق؟ بعد كل هذه التُحف المزركشة التي ملأت أركان الجامعة، تصنع هذا الصنيع بسكن طلابها؟

يظهر لي أن الميزانية كانت قد انتهت بعد تصميم الجامعة بهذا التصميم الرائع، ولكن لا بأس.. لن يعيقني هذا الشيء عن تحقيق

مرادي وهدفي.

عما قليل سيسمع العالم بالطاووس، ملك التصميم في هذا العالم! لن أصمم تصميما واحدًا بأقل من خمسة دولارات! نعم، سيكون لي شأن عظيم..

لذا فإن وجدت لي وظيفة الآن كي لا آكل التراب هنا فسأكون ممتنا لك جدًا، تواصل معي على الإيميل الآتي:

شكرا@العفو.كوم

# دفعة التابلت

عَبدُالرَّحمن سَيِّد خلَف

# سكن عزّاب

قد كنت أحسب أن أسوء أيام حياتي قد عشتها في الثانوية، ولكن هنا أسكت قليلًا!

لقد كنت مُخطئًا بالطبع!

من قبل قد قلت لك «ابتسم؛ فأنت في الثانوية»، ولكن الآن أقول لك: ابكِ فأنت في سكن الطلبة الجامعي!

حيث الستة أشخاص في غرفة واحدة ضيقة، حيث الرائحة العفنة الكريهة؛ فالكائن العزابي له القدرة على البقاء لمدة شهرين بلا استحمام. أحدهم يدخن هنا، والآخر يتدرب على موسيقى الشخير على سريره ويعلو وينزل بالطبقات الموسيقية، وثالثهم يستمع إلى موسيقى الشخير، وكلما ارتفع الأول بالنغمة أو انخفض قال: اوه ماي جاد، بديع يا فنان.

أما الرابع، فلسوء الحظ هو عربي، والعرب في الغربة-إن كنت لا تعلم- أقطاب متشابهة يتنافر بعضها عن بعض؛ لذا إن رأيت عربيا في دولة أوروبية أو ما شابه،فلا تأخذك روح العروبة وتتوقع أن يحدث ذلك المشهد الدرامي الذي يُرسم في مخيلتك وتنسى هذه القاعدة!

أما عن كمال -صديقنا العربي- فهو طالب في السنة الأخيرة في

هندسة الميكانيكا.

ما بقي مـن شـعر رأسـه يبـدو مصـعوقا كأنمـا أصـيب بصـدمة كهربائية أو ما شابه!

صلعة رأسه التي يجب أن تأخذ منها ساترا عندما تتعامـد عليهـا أشعة الشمس؛ لكيلا تحرقك، كرشه الذي يمتد مترين ونصف المتر أمامه،يستخدمه لتأجير الشقق المفروشة فيه على ما أعتقـد.. أسـنانه التي هرب منها سنّتان أو ثلاثة، كل هذا يدل على أنـه مـن أصـحاب الخبرة في هذا المجال، كلمـا كبـر الكـرش وزادت رقعـة الصـلعة، زادت عدد سنوات الخبرة! خذها قاعدة.

ناديته مرة مثلما أنادي الأشخاص العاديين –بأسـمائهم مجـردة من الألقاب:

- «يا كمال!».

ولكن سرعان ما غضب وانفجر فيَّصارخًا:

- «المهندس كمال يااا ولد! لست إنسانًا عاديا مثلك؛ لذا عندما تكلمني يجب أن تقف وتنظر إلى الأسفل، وتجهز كلامك وتكتبه في ورقة وتسلم لي الورقة، ثـم تطلـب منـي الإذن كـي تتحـدث معـي، وحينها يمكن أن أفكر هل أرد عليك أم لا؟».

أكره المهندسين، أكره الهندسة،وأكره أيّ شيء يتعلق بالهندسة.

أتحداك أن تجلس مع مهندس ولا يُظهر أو يهمس لك بأنه مهندس في أول سبع دقائق، حتى لو لم تسأله! خصوصا ذلك القسم «الميكانيكا» سيجعلك تكره حياتك التي تعيشها، ابق بعيدًا عنه تجنبا للأخطار.

تذكّر أن العالم كله في نظرة المهندس: بشر عاديون لا قيمة لهم وبعض المهندسين..

لذا إن رأيت أحدهم في الشارع يكلم نفسه بصوت عالٍ، وشعره قد تساقط ثلاثة أرباعه وبقي الربع الأخير يعاين الأضرار، وتظهر عليه علامات الذّعر والجنون، فاعلم أنه مهندس! فلا تكلمه إطلاقا، دعه يمضي هو وهندسته في سلام.

أما خامسنا فيقطُن زاوية الغرفة لا يفارقها أبدًا، يذاكر ثلاثة كتب في آن واحد! كتاب في يد، وكتاب في الأخرى، وكتاب على الأرض!

يذاكر وهو قائم، يذاكر وهو قاعد، وهو متكئ على جنبه، وهو مضطجع، أثناء نومه، أثناء أكله، وحتى أثناء قضاء حاجته!

شعره قد شاب، ويداه ترتجفان وترتعشان، يرتدي خمس نظارات؛ لكي يداوي ضعف بصره، ظهره متقوس ومُحدَودِب!

يذاكر بشكل غير طبيعي.. خمسين كتابًا في الشهر! هذا إذا لم يكن مئة على ما أعتقد..

كتبه تشبه كتب السحر والشعوذة، كبيرة لدرجة لا تتصورها، كلها بلغة لاتينية، لا يُعرف وجهها من قفاها، ولا يُحصى مداها..

يتكلم بالمنهج، يحشي الملفوف بصفحات المنهج ويأكله، يَحشُر المنهج في الزيتون ويبلعه، يصنع دجاجًا بورقات المنهج ويشويه على الفحم، يُبلل صفحات المنهج في ماء ويشربه، يصنع من المنهج عصير المنهج بالتوت، وعصير المنهج بالرمان، لا يفارق الكتب مهما حدث!

- «صديقي ما اسمك؟».

- «والدورة الدموية الحيوية لها عاملان رئيسان يتحكمان بمجريات حدوث».

- «صديقي أهذا كله اسمك؟».

- «ويمكن أن يكون سبب نقص الهيموجلوبين هو كثرة شرب...».

- «صديقي ماذا بك؟ أخبرني! هل بك سحر أو ما شابه؟!».

- «والعمود الفقري فيه حبل يسمى الحبل الشوكي ويحدث انتقال ال...».

هذا ما فهمته من كلامه، إلا أن كلامه كان يشتمل على عدد من التعاويذ اللاتينية غير المفهومة على الإطلاق، التي لا أستطيع ذكرها هنا خوفًا من أن أُحضّر عفريتا هنا بغير قصد!

فيما بعد أخبرني كمال بأنه طالب في السنة الخامسة في كلية الطب..

- «المهندس كماال يااااااا ولد!».

- «بالطبع، لقد نسيت فقط، اغفر لي».

❋❋❋

إنها كلية الطب إذًا! الآن أصبح كل ما يفعله منطقيًا، بل إنه يجب أن يذاكر أكثر مما هو عليه الآن!

كلية الطب قبر، احتمال الخروج منه كاحتمال إحياء الموتى!

يشفع لها أن خريجيها مجانين، ولكن لا يعتبرون أنفسهم جنسًا مختلفا مثل المهندسين..

طوال حياتي أتساءل! إذا تزوج مهندس طبيبة، أو تزوج طبيب

مهندسة وأنجبا، فهل يكون أولادهما أطفالا عاديين أم مهندسين؟

لم أجد جوابًا حتى الآن..

إذا وجدتَ جوابًا فاحتفظ به لنفسك، فأنا غير مهتم، لقد كنت أتساءل فقط.

❋❋❋

تحضرني دعوة كانت تدعوها لي والدتي دومًا «ملأ الله لك طريقك بأولاد الحلال».

ومن مكاني هنا، أود شكر أمي على هذه الدعوة، ولكني أريد أن أخبرها أن هذه الدعوة بالذات أتت بالعكس!

لم أُقابل في حياتي شخصًا سويًّا تستطيع أن تصفه بأنه عاقل! باستثنائك أنت بالطبع يا عزيزي القارئ؛ فأنت نعم العقلُ عقلُك، تشتري كتابي وتدفع فيه مالًا؛ لكي ترى مذكراتي! لا أدري ماذا دهاك؟!

الجميعُ يصفونني بأنني أحمق وعبقري في نفس اللحظة، لا أدري ما موقعي من الإعراب في المجتمع! هل ينظر الناس إليّ على أنني «اسم مجرور» حقير ينصاع وراء حروف الجر متى ما تحركت يمنة ويسرة؟

أم فاعل في جملة مبنية للمجهول، يفعل الفعل ويهرب من الجملة ناجيًا بفعلته الشنيعة؟ لا أدري حقا!

حتى الجامعة المرموقة التي قبلتني بـ «معجزة» -وهذا أقل وصف لما حدث- حتى هي لم تحنُ عليّ، بل كل يوم يحشروننا فيما يسمونه بالـ «كويز» أو يكلفوننا بأشغال شاقة لا يستطيعها البشر!

اختبارات اختبارات اختبارات! ولا شيء غير الاختبارات! لا أدري، هل نذهب للجامعة كي ندرُس أم نختبر الاختبارات؟

يأتي الـ «دكتور» منهم يجُر ثوب الخيلاء، رافعًا أنفه نحو السماء، يفتح أمامك على العارض المرئي «البروجكتور» عرضا تقديميا، ويشرع في قراءته!

يقرأ ويقرأ ويقرأ، لا يتوقف أبدًا مهما حدث! حتى لو هاج بركان! ولو داهمنا إعصار! حتى لو قام أبوه من القبر وجاء إلى القاعة فلن يتوقف ليتعجب، بل سيكمل أيضًا! أشبه ما يكون بالآلة!

لا أدري، هل قراءة هذه العروض شاقة علينا كي يعينوا لنا من يسرد لنا حروفها وكلماتها؟

جرّب أن تقاطعه بسؤال واحد فقط! وستجد ألسنة اللهب خارجة من فمه، ستجده قد تبدّل صوتُه وتقلّد صوتًا غريبًا يجعلك

تشك في أنه آدمي!

سيصرخ في القاعة قائلا: من الساااااااافل الذي تكلم؟! تقاطعونني وأنا أتلو عليكم العلم أيها السفلة؟ سُحقًا لكم! لقد تقطعت حبالي الصوتية من أجلكم وأنتم لا تبالون! انتظروا، كلها ثلاثة أسابيع! وسأقصم ظهوركم باختبار لن تروا مثله في تاريخ المجرة!

❋❋❋

هذه هي الجامعة يا رفيقي، نعم هذه هي!

لا تحلم بأن الجامعة ستكون «عالم سمسم» كما يحلم الطلاب السذج أمثالي!

ستجد هنا أشياء أفظع بكثير مما وجدته في الثانوية!

لا تحلم أن تجد راحة البال، ولو لدقيقة! ولو للحظة!

هنا أنت في الجامعة:

حيثُ الدكاترة الذين إن قلت لهم: السلام عليكم! رد عليك قائلًا: وعليكم اختبار! استعدّ..

حيثُ ترى تلك الكائنات الغريبة التي تقطن الصف الأول في القاعة دائمًا! الذين حتى إن عطس الدكتور فإنهم يسجلون عطسته!

حيثُ الأشياء تتسمى بغير أسمائها، الواجب يُدعى «أسـايمنت» والمعلم يدعى «الدكتور» أو «المعيد»، المدرجات تسمى «البنشات » والحصص التي تُدعى «المحاضرات»..

بالتأكيـد لا تكـن سـاذجًا وتنتظـر جـرس انتهـاء المحاضـرة، فللأسف! لم تكتشف الجامعات هذا الاكتشاف بعد! يحق للـدكتور أن يأخذك رهينة لسنة، سنتين، ثلاثة أو كما يريد..

لا تبحث عن المدير في الجامعة، ولا تقل لأحـدهم: سأشـكيك إلى الناظر! لأنه لا يوجد ناظر هناك، بل يوجد عميد للجامعة، يكون نائمًا في مكتبه غالبا؛ لذلك لا تزعجه..

يدعون الاختبارات النهائية بـ «الفاينال» والاختبارات القصيرة بـ «الكويزات»، منتصف الفصل الدراسي بالطبع يدعونه «ميد ترم»..

وليس هذا في بريطانيا فقط! بل في جميع بلدان العالم، يـتم تحويـل كل شيء إلى اللغة الإنجليزية!

في البداية ستجد نفسك هائمًا، حمارًا لا تفهم شيئًا ولا تعقل حرفًا مما يُثَرثَر به أمامك! ولكن عندما تمضي وقتًـا في الجامعـة ستصـبح من أصحاب الخبرة، ولن تفهم أيضًـا فـلا تحـاول، تقبـل وضـعك هكذا فكل الطلاب مثلك.

هنا -في الجامعة- ستتغير الأمـور عليـك كثيـرًا، سـتجد نفسـك هائمًا بين دوامات الاختبارات المفاجئة، ستفقد شغفك حتمًا!

لا تحتـاج أكثـر مـن أسـبوع لتُوَسـوِس إلى شـيطانك -قبـل أن يوسوس إليك هو- بترك تلك الكلية اللعينة وبيع الفِجل في الشـارع بدلًا من ذلك.

ستمضي عليك أيام في فرح وأيام في ترح!

انتظر! أخطأت هنا، ستمضي عليك أيام في حزن وتـرح فقـط! لا فرح هنا إلا إذا كنت مجنونًا! وإلا كيف ستفرح وأنت لا تدري مـاذا سيقابلك من صخور لتحمله غدًا..

دخولك الجامعة أشبه ما يكون بالحكم عليك بالسـجن المؤبـد مع الأشغال الشاقة الدائمة! تخيل، بعـد أن كنـت عصـفورَ المامـا، وحفيّ البابا! ستأتي هنا وستكون كلب الدكتور أو حماره الذي يحمّله بأثقل الأحمال! بل إنه ليمتطيه وقتما شاء.

***

عزيزي طالب الثانوية:

لا أريد أن أسمع لك حسّا بعد اليوم؛ فأنت في العـالم الـوردي! لم تجتز النهر وتعبر إلى الغابة المظلمة بعد..

أعدك أنك إن لم تكن مؤدبًا بما فيه الكفاية، فإن الجامعة ستربيك وتأدبك على نحو يعجبك!

سترى هنا جميع أشكال التعذيب اللاآدمية، ستشمئز عندما ترى جامعتك بعد أن كنت تتمنى أن تلِج بها ولو لمرة واحدة!

لا تستعجل هلاكك؛ فهلاكك قادم لا محالة!

سواءً أدخلت كلية الطب أم غيرها، كلها موتٌ وجحيم سرمدي، يتحتم عليك أن تستعدّ بسُتَرك الواقية بدلا من أن تشتري الأثواب والبدلات!

عزيزي:

لا تكن أحمق وتحسب أن الدكاترة هنا طيبون! قد يكون بعضهم كذلك، ولكنك ستقابل أشكالًا وأنواعًا من مأموري سجون! وليس دكاترة جامعات..

لن تشُم رائحة الدرجات العالية بعد اليوم! أصبح هذا الكلام باليًا.

لا تظنّ بأنك ستكون طالبًا نجيبًا وتحضر جميع المحاضرات، وتذاكر على «لمبة الماوس» وتنام بين القوسين، وتحصل على امتياز في النهاية.

صدقني! ستقيم حفلا ضخمًا وتدعو كل من تعرفهم ومن لا تعرفهم على الولائم عندما تنجح في مادة من المواد بدرجة «مقبول».

زبدة الموضوع: لا تُشغل نفسك بالجامعة واجلس إلى جوار أمك؛ فجوار أمك أفضل بكثير من جلستك هنا معنا! على الأقل ستكون وقتها قدمت شيئًا لآخرتك؛ فلن تطيق ما نعيشُه هنا يا صديقي.

***

* في شعوبنا حصرًا: يتمايز الناس بحسب مسمَّاهم الوظيفي؛ فكلٌّ منهم رافعٌ أنفَه تجاه الآخر.
* طلابُ الطب تمارس عليهم درجاتٌ قصوى من الحشو المعلوماتي، لذلك هم خارج عالمنا مؤقتًا.
* يصدم الطلاب صدمةً قويةً في أول أيامهم في الجامعة، فلا يستفيقون منها إلا وقد راحَ عليهم الكثير..

أما عن الجانب المظلم الآخر من الحياة الجامعية، وهو السكن الجامعي..

بيئة غريبة، لن تجد فيها شيئًا طيبًا واحدًا تُسر عيناك به. يقطنها سكان غريبو الأطوار، تعلو وجوهَهم ملامح الإجرام والإفساد..

يرمقونك بحدّة! حدة لم ولن ترى مثلها! يفتشونك باحثين عن طعامٍ في جيبيك فور وصولك إليهم..

عزاب

لفظة تحمل الكثير من المآسي، أتدري ما معنى أنك كائن عزابي؟

تعني أنك ستأتي من الجامعة بعد احتجازك فيها ليوم أو يومين، ولن تجد الغداء التي كانت تعده لك أمك جاهزًا، لن تجد ملابسك مغسولة كما كانت تصنع أمك، بل ستجد نفسك بالتدريج تحولت وأصبحت مثلهم..

لا تستحم لكيلا تضطر لخلع ملابسك وغسلها، ستلبسُ الأثواب المكرمشة غير المكوية كسلا منك! فأنت لا تطيق كويها، ولا تمتلك المال لجعل غيرك يكويها لك..

ستكتشف -أخيرًا- أن المواد التموينية التي كانت متوافرة في البيت هي بمبالغ طائلة، لو اشتريت مثلها لأعلنت إفلاسك في أول

يوم في الشهر.

ستُصدم بأنك يجب أن تطبخ الطعام قبل أكله؛ ولذلك ستضطر إلى شراء المعلبات يوميًا خشية أن تضيع طاقتك الثمينة في الطبخ.

ستعيش على الفاصولياء المعلبة، الإندومي المعلب، الخبز الحاف، وغيرها.

عندما تشتري التونة المعلبة سيعزّيك أصدقاؤك بالطبع! ولعلك تتساءل وتقول: لماذا؟

سأقول لك إنك ستكتشف أن التونة غالية جدًا بالنسبة لك، فلن تستطيع شراءها إلا إذا ورثت أمولًا طائلة من أحد أقاربك المتوفين.

لا تتعجب عندما ترى أحد الكائنات التي تقطن غرفتك نائمًا لمدة ثلاثة أيام لم يستيقظ؛ فالكائن العزابي له القدرة على النوم مليون ساعة أو ما يزيد دون أن يشعر أنه نام أصلا..

اقتصد في صرف مالك، اصرفه بحذر شديد! بالغ في الحذر يا صديقي؛ فلن يعطيك أحدٌ منهم فلسًا واحدًا ولو جثوت على ركبتك وترجيته أن يعطيك!

هنا حيثُ الحياة التي كنتَ معزولا عنها في كنف والديك، هنا حيثُ لا شيء تكتسبه إلا بعرق جبينك! طعامك وملبسك ومشربك

ومسكنك، كل أعبائها ملقاة على عاتقك! هنا حيثُ يـؤدّبُ السـفلة، هنا حيثُ يصنع الرجال.

❋❋❋

لم تعد تستهويني تلك القصص الخيالية التي تُقصّ عن نجاحـات الخارقين.. لم أُعد أهوى أن أكون ناجحًا حتى!

لا يوجدُ في دنيانا هذه شيءٌ واحد يحـضّ عـلى النجـاح أو يرغّـب فيه.. فلا الناجحون يُقدّرون ولا تُذكر أحاديثهم كلما عبرت السنون..

عالقون يا صـاحبي في هـذا النهـر الـذي لا يوجـد عـلى ضـفافه منقذون يراقبون الغرقى.

لا يهمهم من غرق، ولا يهمهم من وصل.. المهم أنهم وصلوا، وهذا كافٍ بالنسبة لهم.

- «راشد، صديقي! أريد منك خدمة!».

- «جسمي لا يتحمل أي خدمة يا كمال! اذهب عني رجاءً».

- «ماذا تقول؟».

- «لا أستطيع، صدقني!».

- «لا يهمني هذا! لقد قلـت «كمـال» دون مهنـدس! اسـمع يـا

راشد! لقد أعدتها كثيرًا، في المرة القادمة سأفلق رأسك المربع هـذا إلى نصفين! أتسمع؟! والآن هيا! قمُ».

- «صدقني يا مهندس كمال! لا توجد عضلة في جسمي إلا وقـد أُستهلكت!».

- «هل جننت؟ على البشر العاديين عندما يأمرهم المهندسون أن يسمعوا ويطيعوا! هل تسمع أيها السافل؟!».

- «ماذا تريد إذًا؟».

- «انزل إلى البقالة، وأحضر لي كيسًا من الفُستق! وعلبة سجائر».

- «أين البقالة تلك؟ لم أرَ بقالة منذ جئتُ إلى هنا!».

- «بلى، يوجد بقالة! ولكن خـارج الحـرم الجـامعي! عـلى بعـد ثلاثة كيلومترات فقط على ما أعتقد!».

- «ثلاثة ماذا؟».

- «كيلو متراااات!».

- «اذهب إلى الجحيم أنت وفستقك اللعين! والله لو كنت علـيلا وشك الموت أمام عينيّ، وكـان ذلـك الفسـتق اللعـين هـو الشـيء الوحيد الذي سيجعلك تبرأ من علّتك ما ذهبتُ!».

- «ولكنني مهندس! كيف ترفضُ أمر مهندس أيها الحقير؟!».

- «أقول لا وحسب، لن أذهب!».

- «سحقًا لك أيها المعتوه، من تظُنّ نفسك؟! بشري حقير! أنا المخطئُ أنّي كلمتُ بشريا حقيرًا مثلك، وأعطيته فرصة كي يأخذ ويعطي معي في الكلام! يفترض بالمهندسين ألا يكلموا إلا مهندسين مثلهم، لا أدري ماذا دهاني!».

- «اذهب أنت وهندستك إلى الجحيم ولا تزعجني! دعني وشأني».

***

* الصدمة الكبرى هي تلك التي تخرجُ فيها من حيّز كونك محمـولًا مكفولًا، إلى كونك خادمًا لنفسك.

* أبسط الأساسيات الاقتصادية يفتقدها النشء.

* ينهي الطالب الثانوية وقد فقد شغفه لمتابعة الطريق، فيقـع عنـد العقبة الأولى.

# حِمار مُتهوّر

أحب التعرف على أشخاص جدد، بيئات جديدة، تقاليد وطباع مختلفة.

هذا ما يجعلني أرى العالم بعين الجميع، لا بنظرتي المحدودة، قد يتفق البعض معي أو يختلف، ولكن في النهاية لا أكترث، فالكتاب كتابي، والرأي رأيي.. إذا كان لديك رأي آخر فاكتبه في ورقة، وضعه في درجك، وأعدك أنني عندما أزوركم -بإذن الله- سأتغدى معكم وآخذ الورقة التي فيها رأيك من الدرج وأرميها في سلة المهملات عوضا عنك، دون مقابل! لم أر في حياتي كاتبًا يُدلّل قارئه بهذا الشكل!

❋❋❋

«مرحبا بكم، معكم الدكتورة ناتلي هوستن، رائدة في مجال التصميم الحديث، مهلا! أنت! أنت أيها الأحمق!».

كل الدلائل تؤكد أنها تُشير إليّ بالطبع..

«نعم أنت! أخرج إصبعك من أنفك يا وغد، وما كل هذا المخاط الذي يعشش على ظهر مقعدك؟ اذهب وأحضر منديلا ونظف مكانك أيها السافل!».

هل أنا حقير بالفعل؟ أم أنها مؤامرة كونية لدفن موهبة ستغير اتجاه العالم بأسره؟

الإجابة هي الثانية على ما أعتقد، لقد كانت لحظة صفاء مع أنفي فقط، كنت أخبره بمشاعري تجاهه، ولكن سرعان ما قطعت تلك العجوز البريطانية صفاء جلسة الغرام بين إصبعي وأنفي، سُحقا!

«بالتأكيد تسمعون عن بطولاتي في مجال التصميم العالمي، فأنا الذي نظر الأعمى إلى تصميمي وقال: ما هذا الجمال! أنا الذي أبهرت العالم بقدراتي الخارقة على خلق المعجزات الهندسية!

في الحقيقة، يجدر بي أن أعاملكم جميعًا بطريقة مهذبة، ولكني لا أحب الرجال ولا أطيقهم، لذا فالنساء هن من سينلن الاحترام فقط، أما الرجال فكلهم أوغاد! لا يستحقون منا نظرة أو حتى كلمة طيبة».

أصابني الذعر؛ فكلامها كفيل بتوصيل المعلومة لنا أن الرسوب في تلك المادة حاصلٌ لا محالة!

ولكن صديقي فيكتور كان له رأي آخر!

«أعتقد أن زوجها فعل شيئًا ضايقها اليوم أو ما شابه! لا تقلق يا صديقي، سرعان ما سيهاديها بباقة ورد أو قطعة حلوى وتأتينا غدًا تمدح الرجال وتثني عليهم وعلى الحياة معهم؛ لذا فالوضع تحت السيطرة. هكذا الإناث، كلمة تُسخِطهن وكلمة ترضيهن فلا تقلق».

***

- «سماحة الدكتورة ناتلي، بالطبع أعتذر عن الفعل الشنيع الـذي بدر مني بـالأمس، أريـدك أن تعطفـي عـلى طالـب مسـكين مـثلي، وتطّلعي على تصميم صممته مؤخرًا».

- «هات ما عندك يا تـاءوس.. امممـم، امممـم مـرة أخـرى. في الحقيقة هذا التصميم.. انتظر! امممممممممممم..

نعم هذا التصميم رائع جدًا، ولكن به بعض الأخطاء الطفيفة».

- «هل يمكن أن تخبريني -سموّك- ماذا به؟».

- «لا شيء، لو كنت مهتمًا لعرفت لوحدك، اغرب عـن وجهـي في هذه اللحظة».

- «أخبريني ماذا به فقط وتكرمي على طالبك الحقير».

- «قلت لك لو كنت مهتمًا لعرفت لوحدك، اذهب».

❋❋❋

لا أدري لماذا تحشر المرأة في كل شيء!

يومًا حزينة وغاضبة، ولكن يأتيهـا اتصـال في وسـط المحاضـرة فيتحول الكون إلى عالم سمسـم! ويومًـا تـرقص مـن الفـرح، إلا أن رسالة لعينة تأتيهـا وأنـا أسـلّم لهـا تصـاميمي فتتحـول إلى شـيطان

بقرنين، وتمزق تصاميمي وتبكي!

تقلبات مزاجية كل دقيقة، بل كل ثانية!

أتمنى -عزيزي القارئ- ألا تكون من أصحاب الرؤوس المربعة أو المثلثة الذين يدافعون عن المرأة في كل شيء، بسبب وبلا سبب..

أما إن كنت من أصحاب الرؤوس المربعة أو المثلثة -أرحب بجميع الأشكال الهندسية لرؤوسكم كذلك- فأقول لك: أن طبت وطاب تفكيرك، خسئ حُسّادك أن يصلوا لمكانتك العليا! وتفكيرك منقطع النظير..

صدقني يا عزيزي، مكانك ليس بيننا هنا، بل مكانك هناك! نعم هناك -لا أدري أين- ولكني أعلم أنه هناك..

أنت ومن هم على شاكلتك يمثلون عنصر التطور في بلادنا المتخلفة، حقا! أرجو من الله أن يحفظك أنت وأمثالك في ثلاجة الموتى..

❋❋❋

لا أدري ما خطب الرجال؟! أماتوا ولم يبق منهم أحد ليشغل مكان هذه العجوز البغيضة؟! تجاعيد وجهها تشبه الأخاديد!

أعتقد أن هذه التجاعيد مملوءة بالعديد من الحشرات المحبوسة في الداخل، أو الطلاب غير الطائعين الذين صبت عليهم حمم الغضب وحبستهم في تلك الخنادق..

- «ماذا قلت؟».

- «لا شيء، لو كنتِ مهتمة لعرفتِ لوحدك!».

- «تاءوس اعترف! ماذا قلت؟، لقد كنت تتحدث عني! لا تنس أنني أعرف بعض العربية».

- «قلت إنني لا أصدق أنك في الستينات من عمرك، مع كل هذه الأناقة والجمال! شيء لا يصدق بالطبع، لابد أنك تحاولين تكبير نفسك لكي يزيد احترامنا لك فقط، لكنك عشرينية أو ما شابه».

علت البسمة ثغرها.

- «تاءوس، كلامك جميل! دائمًا أقول إنك أفضل طالب عندي في هذه الدفعة اللعينة، أقسم أن أرسّبهم جميعا ولا ينجح منهم إلا أنت».

❋❋❋

الآن عرفت الخلطة السرية، أريدكم -أيها الرجال- أن تلزموا المطابخ إذًا، اتركوا الإناث يحاضرن في الجامعات ما دام النجاح

بهذه السهولة!

يجدُر بي أن أقيم حفلا الليلة بمناسبة هذا النجاح المبهر، نريد مطعمًا نعسكر فيه الليلة أنا وأنت!

في الواقع، لا أعرف المطاعم الجيدة في لندن -ولا أنت بالطبع- إلا إن كنت قد زرت لندن دوني أيها الوغد، ولكن لا أعتقد أنك زرتها دوني؛ لأني أعلم أنك قارئ وفي، كل القراء أوغاد إلا أنت يا عزيزي.

دعنا نسأل كمال إذًا!

- «المهندس كمال يااا ولد، كم مرة سأقول لك؟!».

دعنا نترك هذا السافل وشأنه ولنسأل أحدًا غيره!

- «المهندس ساااافل يااااا ولد!».

...

- «صديقي، أعلم أنك مشغول في هذه الكتب اللعينة الآن، ولكن أرجوك أن تقاطعها ولو لدقيقة واحدة وتخبرنا اسم مطعمنحتفل فيه الليلة! أعدك أن آخذك معي».

- «الطعام».

صُدمت عندما قال كلمة مثل البشر، لقد كاد أن يغشى عليّ إثر هذه الحادثة! يجدر بي أن أقيم حفلين لا حفلًا واحدًا! يا إلهي، إنه يوم تاريخي!

- «الطعام يمر في اتجاه واحد عبر حركة تسمى الحركة الدودية».

تبًا لك، وتبًا للكتب، وتبًّا للدراسة، وتبًا للطب، وتبًا للمطاعم والحفلات، وتبًا لي أنا شخصيًا.

أما أنت يا قارئي العزيز، فأنت مهجتي الغالية وبؤبؤ عيني الثمين، تدفع مالا لتشتري كتابي، فلا أستطيع أن أسبَّك أو أقربك ولو حتى بكلمة واحدة.

...

- «صديقي، هل يمكنك أن تستيقظ بعض الوقت فقط، أريد أن أسألك سؤالًا واحدًا فقط!».

- «خخخخخخخخخخخخ.. خخخخخخييييخخخوووو، خاااخ خيخخخوخا».

إنه بالتأكيد يلقي ببعض الرموز.

بدأت أستسيغ تلك الطحينة التي يلحنها هذا الموسيقار

العبقري، ولكن سرعان ما شدني صوت أتى من وراء باب الحمام ردًا على تلك المقطوعة الشخيرية:

- «أووووه مااااي جاااد، بديييع يااااااا فنان».

فتنبهت إلى صديقنا الطبال الذي يجلس دومًا بقرب ذلك الموسيقار..

لا بأس، بقي لدينا واحد فقط، لعله هو الذي سيرشدنا.

...

- «صديقي، صدقني لا أمل لي غيرك، نريد مكانا نشتري منه عشاءً جيدًا فقط، أخبرني أرجوك! سأعطيك أي شيء تطلبه!».

استنشق سيجارته في نفس واحد وبدأ يكحكح في وجوهنا وينفث الدخان وهو يضحك:

- «أي شيء؟!».

- «نعم كما قلت لك، أي شيء».

- «أريد زجاجتي نبيذ، وثلاث علب سجائر غير هذه العلبة وسأخبرك».

- «موافق، أخبرني وسأعطيك ما تريد».

- «بالتأكيد، ولكن اشتر لي ما أردته أولا!».

...

- «هاك ما تريد يا أخي، أين نجد طعامًا الآن؟».

- «دعني أفكر، امممممم.. على الأرجح ستجده في المكتبة».

- «ماذا؟».

- «انتظر انتظر! أعتقد أنك ستجده في المطعم».

- «وأين المطعم؟».

- «في المكتبة».

سحقًا لك، ولذلك الطبيب المعتوه، وللسيد جورج، ولذلك الوغد كمال أيضًا!

- «المهندس الوغد كمال يااا حيوان!».

سحقًا لك ولهندستك أيضًا! فلقتنا بهندستك يا صاح! كأن أحدًا لم يدخل الهندسة غيرك!

***

لا تسل عن سبب حقدي الدفين تجاه المهندسين؛ فلقد بلغت الروح الحلقوم جراء فِعالهم السوداوية تجاهي! والجدير بالذكر أن

المهندس لا يُخطئ! لا يُخطئ أبدًا!

* يصدُر عباقرةٌ إلى البلاد الأجنبية من بلادنا، ولكن قد تتناولك أقلامُ الأجانب بالسخرية لتصديرك التافهين إليهم.
* بعضُ الدكاترة وغيرهم يخلطُ بين حياته الشخصية وعمله.
* بعض الأعمال لا يجدر بالمرأة أن تعمل فيها، كما أن الرجل كذلك.
* صار الاعتماد على العلاقات والخدمات في النجاح والرسوب، لا على التفوق.

هذا يذكّرُني بقصة شبيهة بهذه الأحداث التي أعيشها..

أذكر أن ابن جيراننا كان يلعب الكـرة في أحـد الشـوارع قـديمًا، ركَل الكرة ركلة قوية، وبالصدفة اصطدمت في وجه أحد المارّة..

بالطبع أي واحد مكان هـذا المـارّ سـيقول للطفـل «لا تقلـق يـا حبيبي فأنا بخير! استمر في اللعب».

ولكن ذلك الرجل أمسك بابن جيراننا «سعيد» فلطمه لطمة قوية كاد فكّه أن ينكسر إزائها! أعتقد أن سعيدًا تحول إلى حزين بعد هـذه اللطمة..

رجع سعيد إلى منزله والدمع يسيل من عينيه!

- «بابا! بابا! ضربني رجل في الشارع!».

- «ماذا تقوووووول؟! ضربك أحدهم! وأنا على قيـد الحيـاة؟! والله لا يصبح الصباح القادم إلا وهو ميت!».

استلّ أبو سعيد خنجره ومشى جوار سـعيد، وسـعيد يصـف لـه ذلك الرجل إلى أن عرفه!

- «افتحوا الباااااااب، افتحوووه وإلا كسّرت هذا البيت اللعـين فوق رؤوسكم جميعًا!».

- «ماذا تريد؟!».

- «ابني سعيد، هل هذا الرجل هو الذي ضربك؟!».

- «نعم يا أبي، هو! هو بعينه!».

- «انتظر انتظر! من الذي ضربه؟!».

- «أنت!».

- «لا، لا.. أعدها مرة أخرى! ابنك يقول ماذا؟».

- «يقولإن رجُلا لطمه في الشارع!».

- «رجل!».

لطم ذلك الرجل سعيدًا مرة أخرى أمام والده وصاح به قائلا:

- «أنا مهنننننننندس! ألا تفهم؟!».

لم يهتم أبو سعيد بأمر اللطمة وابتسم قائلا:

- «حقًا هل أنت مهندس؟!».

- «نعمبالطبع!».

- «وأنا كذلك! مهندس مدني».

- «أنا مهندس ميكانيكي، تشرفنا».

ألقى أبو سعيد خنجره الذي استلّه، ولطم ابنهلطمة كادت أن تُسقط فكّه هي الأخرى..

- «أبي! ماذا فعلتُ؟! لماذا لم تضربه مثلما ضربني؟!».

- «هل جُننت أيها السافل؟! إنه مهندس! والمهندسون يفعلون ولا يُسألون! أتفهم؟!».

رجع أبو سعيد إلى بيته فالتقت زوجتُه ابنها وهو يبكي وعلى وجهه آثار لطمتين!

- «ما الذي حدث يا أبا سعيد؟! هل ضربكم ذلك الوغد مرة أخرى؟!».

- «لا تقولي عليه وغدًا وإلا لطمتك أنت الثانية!».

- «ماذا به؟ أتعرفه؟».

- «إنهمهندس!».

- «مهنننننندس؟! بربك؟!».

...

صفعت الأم هي الأخرى ابنها صفعة كادت تودي بفكه أيضًا، ووبخته قائلة: «أيها السافل! أيها الوغد الصغير! عندما تركل الكرة

المرة الأخرى على أحدهم فاسأله قبل ذلك، هل هو مهنـدس أم لا؟ لكيلا يحدُث لك ما حدث مرة أخرى! المرة القادمة التي تؤذي فيها مهندسًا سأقتلك، أتفهم؟!».

الجديرُ بالذكر أن الأم مهندسة هي الأخرى.

...

دفعة التابلت

عبد الرحمن سيد خلف

# البحث عن دجاجة

دعنا نترك القصص المملة ونغمر أنفسنا قليلا في موضـوع بعيـد عن ضوضاء العالم..

عنق الدجاجة

نعم، كما قرأت«عنق الدجاجة».

تأمل معي قليلا يا أخي في الله، الدجاجة!

ذلك الكائن الذي يضحي من أجلنا! أنت تحبها مقرمشـة، وذاك يحبها مقلية، وهذا يحبها مشوية.

الدجاجة تضحي أكثر من الأم!

وأنا من موقعي هذا أصرّح: «مثلما جعلتم لـلأم يـوم الأم، نحـن نطالب بتخصيص يوم للـدجاج، لـيكن اسـمه يـوم الـدجاج، يحيـا الدجاج».

تتفننون في تعذيبها بشتى أشكال العذاب، ألا تسـتحق الدجاجـة أن أكتب بابًا في كتابي باسـمها؟! بـالطبع لا تسـتحق، دجاجـة يـا رجـل، دجاجة! دعك من هذا البَلَه، لا أدري كيف أخترق تلـك الترهـات ولا كيف تصل إلى عقلي، التفسير الوحيد لها لا أعرفـه، فـإن أتيحـت لـك الفرصة واكتشفت هذا التفسير فاحتفظ به لنفسك؛ فأنا لا أكترث.

***

- «راشد، يا ولد! احمل معي هذه الحقائب!».

- «إلى أين ستذهب يا كمال؟».

- «مهنننننننننندس كمال! ألا تفهم؟ هذه آخر مرة يا راشد، المرة القادمة سأفلق رأسك نصفين!».

- «إلى أين ستذهب يا حضرة المهندس كمال؟».

- «نعم، لقد وصلت زوجتي إلى لندن اليوم، والجامعة تعطي المتزوجين سكنًا خاصا، غير مكب النفايات هذا!».

- «صدقًا؟».

-«لماذا سأكذب عليك؟ أنا ذاهب الآن، يوجد حقيبتان في الداخل، أحضرها واتبعني إلى الأسفل».

...

- «أتظن أن الجامعة سترضى أن تعطيني سكنًا خاصا إذا تزوجت؟».

- «أنت؟ تتزوج؟ هههههههههههههههههههههههه ههههههه نكتة جميلة! ومن المخبولة التي ترضى بك يا ترى؟».

- «الفتيات يتهافتن عليّ، أنت لا تعلم شيئًا».

- «دعك من هذه السخافات،حالتك ميؤوس منها! احمل الحقائب في صمت!».

...

بالتأكيد ما يقوله غير حقيقي، لم ير المرآة وهي تتغزل في جمالي الخلاب، بالطبع أنا وسيم، لا أريد لكل من هب ودَب أن يهز ثقتي في جمالي.

***

- «راشد عوض الطاووس، أخي العزيز، كيف حالك يا صاح؟».

- «ليس على ما يرام، من أنت؟».

- «ستكون على ما يرام عما قريب، ألم تدرِ من أنا؟».

- «لا أهتم، أتريد شيئًا؟».

- «انتظر انتظر! أنا سعيد».

- «وماذا بعد؟ دعني أصفق لك قليلا يا معتوه!».

- «بل أنت المعتوه، لولا أنك أخي الأصغر لكُنتُ قتلتك يا هذا! اسمع، لقد وجدنا لك دجاجة أخيرًا!».

- «دجاجة؟».

- «أقصد عروسا يا أبله!».

- «وماذا بعد؟!».

- «لا بعد ولا قبل، والـدها غريـب جـدا، كأنـه يريـد الـتخلص منها!».

- «ثم ماذا بعد؟».

- «ولا بعد ولا قبل، لقد تعبنا إلى أن وجدنا مختلة تتزوجك! كل العاقلات رفضن تزوج مختل مثلك يا راشد، كلهن!».

- «ثم ماذا بعد؟».

- «لا بعد ولا قبل».

- «ثم ماذا بعد؟».

- «قسمًا بالله سآتيك وأحشر جزمتي في أنفك أيها الوغد!».

- «في سبيل ترك هذه الخرابة يهـون كـل شـيء، لا أريـد سـكن العزاب مرة أخرى! موافق! موافق!».

- «لم أطلب منك الموافقة يا أبلـه، أنـا أُعلمـك فقـط، يجـب أن تكون موجودًا قبل نهاية أكتوبر؛ لكي نتمم الموضوع! أتفهم؟».

...

يعجبني أخي سعيد، يستطيع أن يفعل أي شـيء، متقلـد منصـب الأخ الكبير وشاغله بحق!

لذلك أسمع له وأطيع دوما؛ لأني أعلم أنه صـادق ولكنـه يـدّعي أنه سعيد..

يجب عليّ الاستعداد للمرحلة المقبلـة، يجـب عـليّ الاسـتعداد جيدًا جدًا!

في البداية يجـب عـليّ أن أبصـق عـلى كـل بقعـة في هـذا السـكن المشـؤوم وسـاكنيه، يجـب أن أودّع الحريـة وأسـتقبل السـجن الجديد.. سجن فريد من نوع خاص، لا يعرف كنهـه إلا مـن دخلـه يومًا ما!

ولكننـي بالتأكيـد سـأكون مختلفًـا عـن الجميـع، سـأنجب جهابذة،يغيرون مسار العالم مثل أبيهم! أولادًا شـجعانا يسـهمون في تطور البشرية -مثل أبيهم بالطبع- الوضع مُطَمئن ما دمت موجودًا.

❋❋❋

- «راشد عوض، كيف حالك يا بني؟».

- «من الحمار صاحب هذا النهيق؟».

- «الحمار أبوك يا معتوه، لا أدري من أين تأتينـا هـذه الأشـكال القذرة؟! اسمع! لن أزوّجك ابنتي يا هذا».

أسمع ولكن..

دائمًا ما تعطيك الحياة فرصـة، ولكنـك تكـون بقـدر كـاف مـن الحماقة كي تُضيع هذه الفرصة الذهبية..

السؤال هنا: لماذا نظهر براعتنا في الحماقة في المواقـف المهمـة دون التافهة؟

لم أجد جوابًا حتى الآن!

إن وجدت جوابًا فخذ نفسا عميقًا وأرسله لي على الإيميل التالي:

سلة المهملات@جميل باشا. كوم تراب

وأعدك أن رسالتك ستصل هناك لا محالة.

***

- «راشد، ماذا فعلت للشيخ عابد عندما اتصل عليك؟»

- «لا شيء، كان صوته كأنه نعيق غـراب أو نهيـق حمـار، وأنـت تعرفني! لا أحب النهيق ولا النعيق».

- «أنت لا تستحق أن يكون لك بيت بحق! نسخة واحـدة منـك

تكفي هذا الكون! لا تتصل بي ثانية.. سحقًا».

...

بالطبع هذا العالم آثم، وإلا لماذا يمارس هذا العدوان علي!

لم تسمع صوته! كيف يمكنني أن أوصله إلى أذنك عبر كتاب؟

صريح، مشكلتي أني صريح بدرجة كبيرة لا تحتمل المجاملة، لا أجامل أحدًا أبدًا إلا أنت يا عزيزي القارئ!

انظر إلى جمال وجهك في المرآة! تمعن في تقسيماته ومعالمه، انظر إلى عضلاتك المفتولة! تغاض عن الدهون التي تغطي كتفك واعتبرها عضلات، نعم إنها مفتولة!

وانظر هناك، تغاض عن كرشك الذي يلامس المرآة التي تنظر إليها، وانظر إلى العروق البارزة على طول ذراعك! مبهر بحق! مبهر جدًا.

انظر إلى عينيك البنيتين! ستحس بدفء عجيب أحس أنا به من هنا! نعم إنك رائع يا عزيزي، لا تسمح لأحد بتحطيمك أبدًا أيًّا يكن.

...

- «راشد، أريد منك خدمة بسيطة».

- «بسيطة؟ قل يا رجل».

- «أشكرك بحق، بسيطة جدًا! لا تقلق.. أريدك أن تصمم لي بعض المقاطع الكرتونية لعرضها على قناتي في اليوتيوب، وأعدك بالجزاء الوفير على ذلك!».

- «هذا فقط؟».

- «نعم، أريدك بعد أن تنتهي من تلك المقاطع أن ترفعها على قناتي، وأريدك أن تجعلها أفضل قناة في اليوتيوب بأسره! أعتمد عليك يا فتى!».

- «وأنت ماذا ستفعل! إذا كنت أنا من أصمم وأنا من أرفع وأنا من أتعب، أنت ماذا ستفعل؟!».

- «لا تشغل بالك بهذا، سأجمع الأرباح فحسب.. أريدك أن تبدأ غدًا بحماس! أفكار المقاطع ألّفها من رأسك المستطيل هذا، وافعل كما أخبرتك!».

- «حسنًا، ولكن يجب أن نتحدث في الأمور المادية قليلا! لم تتطرق إليها نهائيًّا!».

- «ويحك! يالك من وقح! أنا أستاذك في الجامعة، هل سآكل عليك حقك مثلا؟! اعقل الكلمة التي تخرج من فيك يا راشد،

اعقلها! اعمل ولك ما تريد!».

- «إذا كان الأمر هكذا فلا بأس إذًا».

❋ ❋ ❋

بالطبع أنت تعلم أنه لن يعطيني شيئاً، ولكن دعنا نجرب!

إن تصميم هذه المقاطع متعب بحق! أرى المرتبات فيه خيالية جدًا، تصل إلى درجة الجنون!

لعله سيعطيني على المقطع الواحد ألف دولار أو ما شابه! إنه بروفيسور جامعي مرموق المكانة، دخله في الشهر ثلاثون ألفًا على أقل تقدير ممكن!

...

- «مرحبًا، دكتور ستيفان! أنهيت المقطع الأول بجودة عالية ورفعته على القناة! أريد أن أخبرك أنه مبهر بحق! تجاوز عدد مشاهداته العشرة آلاف مشاهد!».

- «مرحبًا راشد، أنا مشغول الآن، عندما تدر القناة أرباحًا أرسلها إلى حسابي البنكي، والآن انقلع فأنا مشغول!».

...

بالتأكيد سيعطيني أجري بعد ثالث مقطع فيديو أو ما شابه،

تصميم فيديو واحد لا يكفي لكي يعطيني أجرًا، ثلاثة بالطبع ستكون كافية لآخذ ألفي دولار أو شيئًا من هذا القبيل!

...

- «دكتور ستيفان، عزيزي كيف حالك؟».

- «أهلا، من أنت؟».

- «أنا راشد، مصمم القناة!».

- «أي قناة تلك؟».

- «قناة اليوتيوب التي طلبت مني إنشاءها وإدارتها، لقد أصبح لدينا الآن ثلاثة مقاطع على قناتنا، كلها تجاوزت العشرة آلاف مشاهدة! مقاطع الأطفال مربحة بحق!».

- «هل وصلك ربح؟».

- «نعم وصلني خمسمائة دولار، وإذا زادت المشاهدات وعدد الاشتراكات أعدك بأضعافها! معك مصمم محترف!».

- «انتظر انتظر، أنت قلت: لدينا ثلاثة مقاطع على قناتنا.. إنها قناتي أنا أيها الوغد!».

- «نعم قناتك، أعتذر».

- «خمسمائة دولار، جيدة جـدًا، نعـم لقـد وصـلت إلى حسـابي البنكي، شكرًا لك».

- بالنسبة لأجري..».

- «شكككككرًا لك، شكرًا جزيلا! لا أدري كيف أوفيك حقك يا رجل! لا أدري حقًا! وداعًا».

✺✺✺

بالتأكيد لن يكون أجري بعض التشكرات! إنه بروفيسور جامعي مرموق! بالتأكيد سيعطيني ما أريد.

شهريًا أو ما شابه! ثم إن خمسمائة دولار قليلة على العمـل الـذي عملته لكي أخرج هذه المقاطع بتلك الجودة العالية!

بالتأكيد هو الآن يضع فوق الخمسمائة ألفين أو مـا شـابه.. هـذا مؤكد بالطبع، لا محالة!

- «دكتور ستيفان، الآن قناتك تجاوزت العشـر مقـاطع فيـديو! مشتركوك تجاوزوا خمسة عشر ألف مشـترك! أرباحـك وصـلت إلى خمسة آلاف دولار يا رجل! ماذا تنتظر لكي تعطيني أجري؟».

- «أجري أم أمشي ههههه ههه مضحك جدًا، أليس كذلك؟».

- «لا أهـتم حقًـا، أريـد مقابـل عمـلي يـا رجـل! لم أكتـب عـلى جبهتي«مصمم خيري»».

- «ما اسمك أيها الوغد المصمم؟».

- «راشد».

- «أما زلت مصممًا حتى الآن؟».

- «نعم حتى الآن، عشرة مقاطع!».

- «إذًا على راحتك، ما دمت مصممًا فلك الحرية، ولكن فكـر في الأمر الذي لا أدري ما هو وأنت مصمم عليـه.. والآن اتركنـي فأنـا مشغول بجمع تلـك الأربـاح التـي وصـلتني مـن قنـاة اليوتيـوب! سأتصل بك مساءً إذا حالفك الحظ ووجدت في يـومي وقتـا فارغـا للحديث مع مختل عقليا.. وداعا!».

***

بالتأكيد لا تتوهم أنه اتصل بي! تركني أنظر لهاتفي لمدة ساعات أملًا في أن يصدر هذا الهاتف اللعـين صـوت رنـين، ولكـن شـيئًا لم يحدث!

لم يعطني فلسًا واحدًا، لم يبصق في وجهي حتى! يظهر أني مكتوب على جبهتي «أبله» أو «معتوه»..

كما قال أخي سعيد، نسخة واحدة مني تكفي لتدمر العالم، كيف أتزوج وأستنسخ مني نُسَيْخات صغيرة؟ العالم لا يحتمل كل هذا الغباء.

❋❋❋

- «راشد، عزيزي كيف حالك؟».

- «مرحبًا، وما دخلك بحالي؟ من أنت أصلا لكي تسأل عن حالي؟».

- «أنا عابد، الشيخ عابد.. أظهر بعض الاحترام!اسمع، لقد كلمني أخوك في الموضوع، وأعدت التفكير فيه مرة أخرى، فكرت كثيرًا جدًّا!».

- «وماذا بعد؟ أي موضوع أصلًا؟».

- «زواجك من بنتي، أأنت مغفل هكذا طوال الوقت، أم عندما أكلمك فقط؟ اسمعني جيدًا، لقد وافقت! أريدك أن تكون في بيتي في نهاية أكتوبر على أقصى تقدير! والله المبارِك لك».

- «وماذا بعد؟».

- «كيف وماذا بعد؟ أقول لك تعال إليّ هذا الشهر!».

- «وماذا بعد؟».

- «قسما بالله سأطبق عليك حد الردة يا فاسق! سمعت كلامـي، ولولا أن أخاك قاض وسيكون واسطة لابني للقبول في كلية الضباط فيما بعد لما فكرت فيك أصلا يا أبله! أغلق هذا الخط اللعين».

❋❋❋

لم تصبح تلك الحوادث تستثيرني كثيرًا، لم أعد أهتم، لم أعـد أبـالي بأي شيء؛ الذي يبالي بتلك التوافه لا يسـمى إلا تافهـا، لـذلك لقـد غيرت رأيي! سأبالي بتلك التوافه، إن كان لـديك اعتـراض، فيجـدر بك أن ترسله إليّ لكي أستفيد من خبراتـك الجمـة في الحيـاة! هـاك إيميلي، لا تنسه أبدًا..

سلة المهملات@جميل باشا.كوم تراب

❋❋❋

- «أعزائي الركاب، مرحبـا بكـم في الرحلـة المتجهـة إلى مطـار الملك خالد الدولي، خطوط طيران الباشا ترحـب بكـم.. بـالطبع لم تختاروا خطوط طيراننا عن حب، ولا عـن دراسـات عميقـة عنيفـة أدت بكم لاختيار هذه الخطوط اللعينة! ولكنكم وجدتموها في قاع الأسـعار فقـررتم أن هـذه الخطـوط أفضـل خطـوط جويـة عـلى الإطلاق، وأنه يجب عليكم أن تنالوا شرف السفر على طائرات هذه

الخطوط العملاقة!

ولكن أريد أن أخبركم أن هذه أصلا ليست طائرة! نعم ليست طائرة، إنها مجموعة حافلات قديمة قام الباشا بإلصاقها ببعضها وحشر جناحين في جنبيها..

أعزائي الركاب! لا تقلقوا أبدًا، معكم طيار محترف! بغض النظر عن أن هذه أول مرة أقود طائرة، ولكني محترف جدًا..

اربطوا أحزمتكم، توكلوا على الله، أنصحكم بلفظ الشهادتين طوال الرحلة، لا تقلقوا أبدًا.

يقال إن الموت بحادث طائرة أمر يسير جدًا، بغض النظر عن السقوط من مسافة تزيد عن ثلاثة كيلو مترات، وكذلك بغض النظر عن سقوطنا على مصنع أسياخ أو ما شابه!

ولكن لا تقلقوا، أنا طيار محترف.. سأجعلكم تموتون بهدوء..

طاقم الطائرة ليس في خدمتكم، فالباشا جشع وطماع جدًا! لم يحضر طاقم طائرة!

ناموا، أنصحكم بهذا، كنت لأنام لولا أن هذه الطائرة العفنة ليس بها طيار آلي، ولكن من يهتم؟ سأنام وليذهب كل شيء إلى الجحيم..

إن كان عندكم بعض الآراء والاقتراحات لزيادة جودة خدماتنا فاكتبوها في ورقة وابلعوها؛ أنتم لم تدفعوا حتى ربع قيمة تذاكر الخطوط الأخرى أيها البخلاء؛ لذا فيجدر بكم أن تلزموا الصمت».

***

يعجبني الصدق والأمانة في هذا الطيران، الطيار سافل قليلًا، ولكن لا بأس.. يشفع له أن ثمن التذكرة لا يتجاوز مئة دولار؛ لذا فليقل ما يشاء!

أحيانا يجب عليك أن تتحمل السيئ وتتحمل الأسوء منه؛ لكي تصل إلى مطلوبك.. لذا فَخُذ الأمور ببساطة.

...

- «جواز سفرك رجاءً».

- «بالطبع، تفضل!».

- «امممممممممم، امممممممم مرة أخرى! إنني أشتبه.. انتظر اممممممممممم مرة ثالثة.. دعني أغير الحرف، يمكن أن أحصل على شيء أسجنك به، أمهلني بعض اللحظات فقط رجاءً».

- «خذ وقتك».

- «شكرًا لك يا سيدي.. كنت أتمنى أن تشرفنا في السجن،

ولكن للأسف لم أستطع الحصول على أي شيء أسجنك به، لذا هاك جواز السفر».

✵✵✵

- «راشد! راشد! أنا هنا يا راشد!».

- «من أنت؟».

- «من أنا؟ أرجعت لتعاطي المخدرات مرة أخرى؟ هل علمتك بريطانيا الوقاحة؟».

- «صدقني، لا أعلم من أنت!».

- «أنا.. أنا أمك يا راشد».

- «كيف أصبح لديكِ شارب ولحية يا أمي في ظرف سنتين غبتها عنكِ فقط؟».

- «والله لو لم تكن أخي، ولو لم نكن في المطار لقتلتك هنا ولجعلت من دمك عصيرًا أشربه! إن لم تتحدث كالرجال سأُعدمك هنا! وسأُقدّد لحمك النتن وأوزعه على الكلاب!».

- «كنت أمزح معك فحسب، من هذا العجوز الذي يقف هناك؟».

- «إنه والد نفيسة، زوجتك المستقبلية يا صاح! هيا اذهب إليه وقبل يديه ورجليه! وارجُ العفو منه على ما بدر منك تجاهه! هيا لا تنظر إليّ هكذا!».

- «وأين نفسية هذه إذًا؟».

- «اسمها نفيسة يا أحمق! لماذا ستأتي نفيسة إلى هنا؟ سحقًا لهذا الغباء، رأسك كبير ولكن بلا فائدة».

- «أين هي؟».

*** 

- «مرحبًا بك يا بني، حمدًا لله على سلامتك! أنت أوسم مما كنت أتصور!».

- «حقا؟ أنت أول من يخبرني بهذا الخبر.. يظهر أننا سنصبح أصدقاء!».

- «جبر الخواطر على الله يا بني، يجب أن أقول لك هذا لكي ترتفع معنوياتك قليلا.. أعطني حقائبك أحملْها لك، وما هذا الكرش يا بني! هل أكلت أحدهم وهربته معك من بريطانيا إلى هنا؟».

- «مضحك يا عمي، يا لسماجتك.. أرى أننا لن نُعمّر سويا».

- «بلى، سنعمّر سويا إن شاء الله يا راشد، لا تكن سَوداوِيا! إنني أمزح معك فحسب! والآن بما أنك وصلت، يجب أن نكتب عقد القِران.. أعتقد أن المأذون قد وصل إلى بيتي الآن! اليوم يومك يا بطل! اليوم يومك!».

- «ماذا؟ بهذه السرعة؟ على مهلك يا عم! على رِسلك! لم أدفع المهر حتى! وليس لدي ما يبل ريقك من المال!».

- «كم من المال معك في جيبك الآن؟».

- «خمسون يورو فقط!»

- «خيرٌ وبركة يا بني، هات ثلاثين فقط.. أقبلها منك».

- «يا عم! أنا لست جاهزًا بعد! أمهلني أسبوعاً أو أسبوعين!».

- «لا، لا! ورب العزة! اليوم ولن أرجع في كلامي مرة أخرى».

*** 

لا مفر إذًا، الأمور تتجه نحو هذا السجن، أعتقد أن نفيسة تلك كان عليها أحكام قضائية! الظاهر -والله أعلم- أن بها عيبًا كبيرًا يجعل أباها يتلهف إلى زواجنا ويقدم إلى المطار بنفسه! وإلا لماذا يتلهف على شاب ذي شعر يشبه شعر المكنسة، ذي رأس كبير مربع، أنفٍ مخروطي، جسدٍ سمين ليّن يتموج مع كل حركة ويتَهَزْهز!

وقاحة غير مسبوقة لم يشهدها التاريخ قط!

الحقيقة أنه لا يوجد فيّ أي ميزة تذكر، هذا ما أحاول أن أخفيه.. حتى عن نفسي!

الموضوع محيّر، فيه «إنّ» وجميع أخواتها..

يجب أن أخبرك الموضوع خرج من يدي! وأصبح في رجلي.. والله وحده العالم أين سيستقر بعد ذلك.

*** الشباب – من هذا الجيل – يتمتعون بهشاشة عاطفية.**

*** الزواج صار هروبًا من مرّ، وصولًا إلى مرّ بسبب قلة التأهيل.**

*** يوجد فجوة واضحة وكبيرة بين الأجيال السابقة واللاحقة.**

*** الزواج صار بيع سلعة بالغرَر، لا يُعلم وجهها من قفاها.**

*** يستغل البعض كفاءتك وسذاجتك معًا في آن واحد..**

# دفعة التابلت

عبد الرحمن سيد خلف

## ابتسم للكاميرا

يروق لي يا عزيزي أن أخبرك بعض القصص من أدغال غابات الماضي، ستغير فكرتك عني كثيرًا ستجعلني بطلا قوميا في عينيك.. دعك من الحاضر؛ فهو وقح بطبيعته.. ارجع بظهرك نحو الماضي.. الذي يحمل كل الأشياء الجميلة، كل الأحداث الفريدة من نوعها..

ارجع إلى الوراء وانظر إليّ عندما كنت صغيرًا، خلف طاولة السخافة، فوق كرسي الغباء.. أبدع هشام الجخ كثيرًا في تلك القصيدة..

تصفني هذه القصيدة جدًا!

***

- «راشد، أي بني! تعالَ إلى هنا.. نريدك في موضوع».

- «أستاذ عابد، أي شيخي.. أي موضوع؟».

- «راشد، أنت تعلم أنك أفضل طالب لدينا؟ صحيح؟».

- «في الحقيقة فاجأتني بهذا، سأعتبر نفسي أعلم هذا الشيء».

- «لم يجتز اختبار القدرات غيرك يا راشد.. أنت عبقري، عبقري حقًا! لقد حققت العلامة الكاملة فيه!».

- «أنا؟».

- «نعم أنت، إن لدينا لقاءً في قناة النـورس المشـهورة، بالتأكيـد تعرفها».

- «لا أعرفها، ولكن سأعتبر نفسي أعرفها».

- «سأصحبك معي فيها يا بنـي، أريـدك أن تلـبس طاقيـة وثوبـا أبيض مزركش، وتُهنْدِمَ مظهرك، وتقـص مـن أنفـك قطعـة؛ لكـيلا يضحك عليك المتفرجون! أريدك أن تقابلني في مركز البردي غـدًا، السـابعة صـباحًا بالتحديـد يـا راشـد! لا تـنس الموعـد.. السـابعة صباحًا!».

- «نعم نعم، الثالثة مساءً بإذن الله أكون في مركز الوردي».

- «السابعة صباحا في مركز البردي يا راشد، اكتبها!».

- «لا عليك، ذاكرتي فوتوغرافية، لا تقلق!».

- «آمل أن تكون كذلك ولا تأتيني في منتصف الليل.. هـاك هـذا الكتاب.. لديك سؤالان في صفحة خمس وسبعين، اعـرف جوابهـما جيدًا، احفظها مثل اسمك يا راشد!».

- «أبشر، لك ما تريد! ولكن ما هذا الكتاب؟».

- «إنه كتاب من الكتب المشـهورة في الفيزيـاء، لا تشـغل بالـك

بهذا الكلام! احفظ جوابي السؤالين جيدًا.. لا تُحرجني أمام المتفرجين غدًا!».

❋❋❋

- «أعزاءنا المشاهدين، كما ترون! اليوم يومٌ زاهٍ، مشرق بوجهي الجميل، مشرق بكل ما تحمله الكلمة من معنى.. لدينا طالب فريد من نوعه، لم أر في ثقافته وعلمه في حياتي المهنية.. نوع عبقري لا ينمو في أراضينا عادةً، ولكن حدثت المعجزة! عمره اثنتا عشرة سنة، ولكنه بعقل ستين رجلاً في عمر الستين، لا أبالغ؛ فهو الوحيد الذي حصل على علامة كاملة في اختبار القدرات العامة في أنحاء البلاد.. كان أينشتاين يجثو على ركبتيه احترامًا لهذا العالم الذي أمامنا! عالم من أعلام الفيزياء النووية وهو في هذا العمر! د. راشد عوض الطاووس، أخبرني كيف وصلت إلى هذه المرحلة الفائقة في الذكاء؟».

- «في البداية أود أن أشكرك على هذا المديح الذي، لم أسمع إطراءً عني هكذا في حياتي.. الكل ينعتني إما بأنني أحمق أو سافل أو شيء من هذا القبيل.. في البداية كنت أذاكر، كل ما أفعله هو أنني أذاكر».

- «يا إلهي، زدنا من التفاصيل يا د. رادش».

- «راشد يا سيدي، اسمي راشد».

- «نعم، اعذرني يا دكتور، اعذرني مهابتك جعلتني متوترًا جدًا، أخطئ حتى في اسمك!».

- «لا بأس، لم يكن في بيتنا ضوء، كنت أُذاكر الفيزياء الربوية تحت ضوء القمر».

- «احم، تقصد النووية».

- «نعم هي النحوية هذه، المهم أنني كنت أذاكرها على ضوء القمر».

- «وماذا تفعل إذا غاب القمر يا سيد راشد؟».

- «القمر لا يغيب عندنا أبدًا، ولا حتى لحظة واحدة! يبقى ساطعا حتى وإن جاءت الشمس!».

- «هل يمكن أن تفسّر لي هذه الظاهرة العجيبة بشكل أكبر؟».

- «يظهر لي أنك مذيعٌ مبتدئ يا هذا، القمر جالسٌ أمامك! المهم أنني كنت أذاكر على ضوئي.. لا أخرج من غرفتي أبدًا! وهذا كله لكي أُفيد البشرية وأصل إلى المستوى الذي تراه الآن بأم عينيك».

- «والآن دعنا».

- «ما هذه الوقاحة! دعني أكمل حديثي يا رجل! المهم أنني بعد مذاكرة عميقة وغوص في أدغال العلم أدركت أمرين مهمين جدًا! أما الأول: ففي الحقيقة قد نسيته، وأما الآخر فنسيته أيضًا».

- «تقول لي إنهم كانوا يصفونك بأنك أخرق؟ صحيح؟».

- «أحمق يا سيدي، كانوا يصفونني بأنني أحمق! ولكني كما تراني أمامك وكما قلت قبل قليل في مطلع الحلقة، أعد ما قلته!».

- «نعم لقد قلت إنك أحمق! اخرج من هنا أيها الوغد! لا أدري كيف ضيعت وقتي على تافه مثلك! ضاعت سمعة قناة النورس».

- «في الحقيقة أنا أود أن..».

- «في الحقيقة ماذا أيها السافل! اذهب من هنا وإلا قطعت رأسك على الهواء مباشرة! أين عابد! أين ذلك الوغد! أقسم أنني إذا لقيته لأرتكبن فيه أفظع الجرائم التي شهدتها البشرية!».

❋❋❋

هكذا يُعامل العلماء في بلادنا.. تحت الأقدام يوضعون! أما لو كنتُ مغنيا أو راقصًا أو شيئًا من هذا القبيل لجعل المذيعُ يتغنى بي!

سحقًا لذلك الماضي البئيس، دائما أقول إن الماضي بائس.. لم يعرف أحد فيه طعم الحلاوة.

- «أعزائي طلاب حلقات جامع الفلاح، مرحبًا بكم! انظروا معي إلى هذا الفهامة العلامة! راشد عوض الطاووس زميلكم الصغير! عمره تسع سنوات فقط! نعم إنكم أكبر منه سنًا وحجمًا! ولكنه يفوقكم عقلا وفكرًا! وعندما يقول الشيخ عابد إن هذا الولد يفوقكم، فهو يفوقكم بسنين ضوئية! لقد سمعت له القرآن كاملا مكملا ولم يُخطئ أي خطأ! ولا حتى خطأً واحدًا!

راشد، أي بني! اقرأ عليهم سورة الفجر، وأسمعهم تلاوتك العذبة التي تلامس القلوب».

- « ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ ، ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ ».

- «احمم، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ ».

- «﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ ، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ».

- «راشد، استفق يا بني! ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾! هذه بالتأكيد سورة صعبة، اقرأ من سورة الليل.. هيا!».

- «﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ، ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ ».

- «راشد! أي بني! ماذا بك؟ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾! أعلم أنك متوتر، اسمعوني يا شباب! إن راشدًا متوترٌ فقط.. أقسم إنني متأكد من هذا!

راشد! سمع لهم سورة الإخلاص».

- «سورة الإخلاص؟ وما سورة الإخلاص؟».

- «كيف وما سورة الإخلاص؟».

- «لم أسمع بها من قبل».

- «سورة «قل هو الله أحد»يا راشد! راشد، والله لو أنك متعمد أن تُحرجني أمام مئة طالب في الحلقات لما صنعت هذا الصنيع أيها الوغد! اذهب إلى مكتبي، سأحضر السوط وآتيك لأكرّمك به!».

***

بالتأكيد لم تكُن فكرةً جيدةً أن نرجع إلى الماضي..

لا تصفني إلا مقولة واحدة سمعت عقلي يقولها ذات يوم..

«كل المآسي على مقاسي».

اعذرني -عزيزي القارئ-

لقد حسبت أن الرجوع للماضي وتذكر أحداثه ورثاءَها والبكاء عليها حركة لولبية من حركات الكتاب الكبار.. ولكني نسيت أنني راشد، الأحمق كما يصفونني دائمًا، الدب، الوغد، الأبله، كلها أسماء لشخص واحد.. وأوجه لعملة واحدة! التي هي أنا.

...

يجدر بي أن أخبرك شيئًا مهمًا في تلك الأحـداث، وهـو العامـل المشترك بين هاتين القصتين! الرجل الذي لو كنتُ مكانه لقتلتُني!

للأسف، وبمحض الصدفة.. هو الشيخ عابد، والد نفيسة!

من الواضح أني سأظل شوكة في حلـق ذلـك الرجـل، يبـدو أنـه أذنب ذنبًا كبيرًا، كبيرًا جدًا حتى أكون في حياته بهذا الشكل.

في الحقيقة.. أُشفق عليه وأرحمه؛ فقد بُلي ببلوى لا يتحملها بشـر، ورغم ذلك هو صابر محتسب، لا ويريـد أن يزوّجـه بنتـه أيضًـا! لا شك أنه أصابه خرفٌ، جنون أو ما شابه.

❋❋❋

قدم المأذون بالطبع على أحر من الجمر ليعقد عقد الـزواج هـذا ويلتهم رزمة أو رزمتين من المال!

- «مُدّ يدك يا شيخ عابد، بسرعة! إنني مسـتعجل.. مـد يـدك يـا بني، تعجّل!».

- «في التأنّي السلامة يا شيخنا».

- «وخير البر عاجله يا بني».

- «ولكنّ كل تـأخيرة فيهـا خيـرة يـا سـيدنا! يجـب أن نفكـر في

الموضوع مليّا».

- «أجئت تفكر الآن عندي؟ يظهر لي أنك فيلسوف! وأنا لا أحب الفلاسفة.. لا تُثر غضبي أيها الوغد ومد يدك في صمت!».

هيا يا عابد، قل له: «زوجتك ابنتي على سنة الله ورسوله، وعلى مذهب أبي حنيفة النعمان، وعلى الصداق المسمى بيننا».

- «زوجتك ابنتي على سنة الله ورسوله، وعلى مذهب أبي حنيفة النعمان، وعلى الصداق المسمى بيننا».

- «قل يا بني: وأنا قبلت ابنتك زوجةً لي على سنة الله ورسوله، وعلى الصداق المسمى بيننا، وعلى مذهب أبي حنيفة النعمان».

- «ولكني أريد قول شيء».

- «لا تقل شيئًا غير ما قلت لك! اليوم ليلة زفافك، لا تجعلها ليلة جنازتك!».

- «حسنًا، وأنا قبلت ابنتك زوجة لي على سنة الله ورسوله، وعلى الصداق المسمى بيننا، وعلى مذهب أبي حنيفة النعمان».

- «بارك الله لكما وبارك عليكما، لا أرجو أن تأتي منك نُسَيخات أخرى! واحد منك يكفينا».

- «لا تقلق، لن أعيد خطأ أبيك فيك مرة ثانية».

❋❋❋

**❋ يتصدَّرُنا عبر شاشاتنا أناسٌ ليسو جديرين بالتصدر.**

**❋ أردفَت المؤثراتُ المحيطةُ مجتمعًا باليًا أخلاقيًا خلفها.**

**❋ تدمير الأسرة يبدأ من بنائها بعمدان هشّة.**

نفيسة..

تشبهني تمامًا! سمينة، ثقيلة الطينة والدم، أنفها يشعرك عندما تراه من بعيد أنه سلسلة جبال السروات، ولكن عندما تقترب منها أكثر سترى غارَين محشورَيْن في أحشاء جبل أَشَمّ!

لا يصفها إلا مقولة قرأتها في أحد الكتب «تشعرك أنها أنفٌ كبير تتدلى منه فتاة جميلة».

أعتقد أن والدها أراد التخلص منها لأنه يعاني من الاختناق؛ فهي بهذه الآلة يمكنها شفط أطنان من الأكسجين في دقائق معدودة!

كفاني تنمّرًا وقلة أدب..

هي مثلي تمامًا في أشياء كثيرة، ولكنها عصبية قليلا، أعني كثيرًا، ولكني لا أريدها أن تسمعنا.. أخفض صوتك يا عزيزي، وإلا نقرتك بأنفها! نقرة واحدة كفيلة بأن ترديك قتيلًا، وأنا غير زاهد فيك، أحبك وأريدك أن تمكث معي!

***

- «يانفيسة!».

- «ماذا تريد يا حيوان؟!».

- «هل يمكن يا جلالة الملكة أن تصنعي لي كوبًا من القهوة، هذا إذا تكرمتِ ولم ينتقص هذا من قدرك السامي».

- «كوبًا من ماذا؟».

- «الـ.. مالها عيونك قد تغير لونها؟! أريد كوبًا من القـــ.. قهـوة فقط».

- «من ماذا؟!».

- «أعتذر، لا أريد شيئًا».

- «راشد! بماذا ستمسك كوب القهوة؟!».

- «بيدي».

- «جميل، هذا يعني أن لك يـدَين لعينتـين تتـدليان مـن جسـمك اللعين هو الآخر! يمكنك أن تصنع بها ما تريد».

- «حقًا! شكرًا لكِ على هذا الاكتشاف العبقـري، طـوال عمـري كنـت أحسـب نفسـي بـلا يـدين! ولكـن حمـدًا للـرب، وجـدتهما! وجدتهما! والآن حضّري لي كوبًا من القهوة».

- «اصنعها لنفسك ولا تخاطبني بصيغة الأمر مرة أخرى!».

- «من حقي عليكِ أن تطيعيني وتُحضّري لي ما أريد!».

- «لا ليس من حقك! هل نحن عبيدٌ عندكم؟! هل ترتبطـون بنـا بعقد زواج أم بصكّ رق أو خدمة؟! ليس لكـم حقـوق عنـدنا أيهـا الرجال الأوغاد! من تظنون أنفسكم؟!».

- «ليس لنا حقوق؟! ولماذا أنتن لكنّ حقـوق ونحـن لـيس لنـا حقوق؟!».

- «نحن لنا حقوق بالطبع، نتفانى في كـلّ شـيء، نجعـل الحيـاة أجملَ».

- «إذا لم يكن لنا عليكم حقوق فليس لكم علينـا حقـوق! فصـل الخطاب!».

- «بالطبع لنا حقوق! من حقنا أن نذهب مرتين يوميا إلى المركـز التجاري «المول» ونملأ عربات التسوق بالملابس».

- «ومن الذي يدفع حق هذا؟!».

- «أنتم بالطبع أيها الأوغاد.. انتظر، ومن حقنـا أيضـا أن تهـدونا هدية كل يومين أو ثلاثة، وكذلك من حقنا أن نـذهب كـل شـهر إلى سفرية تزيح عن نفوسنا الكدر الذي نشأ إثر الجلسة معكم، من حقنا أن نأمركم، ومن واجبكم أن تنفذوا لنا الأوامر.. ومـاذا بعـد؟! نعـم من حقي أن تأتي كـل يـوم بعـد أن ترجـع مـن جامعتـك وعملـك،

وتُدلّك لي قدمي بماء دافئ لأنني أتعب من الجلسة طوال النهار وتؤلمني قدماي كثيرًا!».

- «هل يوجد شيءٌ بعد ذلك كله؟!».

- «نـ.. نعم! بالطبع! من حقنا أن تعطونا كلّ ما تجنونه من مال؛ لكي نُنَزّه أنفسنا، وكما تعلم، الرجولة هي أن تُعطي زوجتك كل مالك وتأكل أنت التراب بقية الشهر.. نعم بالتأكيد، هذا الكلام رأيته في كتاب «كيف تتعلم الرجولة من الصفر إلى الاحتراف»، كذلك يجب عليك أن تُحضر لي في الشهر خاتمًا أو خاتمين ذهبًا، ساعة ألماسية أو شيئًا من هذا القبيل!».

- «وهل إن فعلت هذا كله ستصنعين لي الطعام عندما أرجع ميتا من الجامعة؟».

- «لا بالطبع! هل تراني خادمة عندك! اخدم نفسك ألا تملك يدين لعينتين؟! وكذلك نسيت أن أُذكّرك! يجب عليك أن تشتري لي سيارة؛ كي أزور بها صديقاتي».

- «انتظري انتظري! ولكننا سنذهب إلى لندن، ولا تعرفين أحدًا هناك!».

- «سأكوّن علاقات جديدة أيها الأبله، سأجوب بها لندن شمالا

وجنوبًا، شرقًا وغربًا!».

- «**وستوصلينني إلى الجماعة بالتأكيد!**».

- «بالطبع لا، تعال على قدميك! ألست رجُـلًا؟ ألسـت تُزعجنـا بهذه الكلمة اللعينة «أنا رجُل أنا رجـل»؟! إذًا هيـا تعـال مشـيًا أيهـا الرجل!».

- «على كل حال، لا أمتلك من المال يُمكّنني من شـراء سـروال غير هذا السروال المُهترئ الذي عليّ وتريدينني أن أشـتري سـيارة! هه هه».

- «ألست تلتهم مبلغًا ضخما جراء عملك في كافتيريا الجامعة؟! جمّع المال الذي تأخذه واشترِ لي سيارة، لا دخل لي بك».

- «نفيسة! أتدرين أن هذا «المبلغ الضخم» لا يكفي لإطعام قطّة يومين! نفيسة! اسـتيقظي! لقـد كنـت أودّ أن أخبـركِ بـأني أريـد أن أُسرّحكِ في الشوارع».

- «تسرّحني في الشوارع؟! لماذا؟!».

- «لكي تتسولي بينما أذهب أنا إلى الجامعـة! ولا أدري، ربمـا لا يكفينا المال الذي آخذه من الكافتيريا والذي تأخذينـه مـن التسـول حتى لكي نشتري أبسط السلع التموينية ونبقى على قيد الحياة!».

- «ماذا؟! أيها الوغد الحقير! أناااااا، أناااااا نفيسة بنت الشيخ عابد! عين أعيان البلد! أتسوّل في شوارع لندن؟! هل جُننت!».

- «لو سمعك أحد من بعيد لظن أن أباكِ ملياردير أو ما شابه! الذي يسمعك يشعر أن أباكِ كان يبني القصور ويمتلك عددًا غير محدود من الدور! رحم الله أيامًا خلت يا نفيسة! رحم الله أيامًا رأيتك تأكلين فيها الكعك بالمحراث! لا تدعيني أتكلم وأخرج كل ما في صدري تجاهك! يوجد معنا قراء يقرؤون الكتاب ويسمعوننا!».

- «يجب أن تُربّى يا راشد! لم تتعلم كيف تتعامل مع زوجتك أيها الوغد! ولكن لا بأس؛ فالأيام بيننا! الأيام بيننا يا راشد! سأربيك أنا! أعرف كيف أتعامل مع السفلة أمثالك».

***

الآن عرفتُ لماذا كان والدها متشوقًا لتزويجها لي!

الآن عرفت سبب جريه وخلعه العمامة والثوب من شدة الفرحة بعد أن وقّعتُ وبصَمتُ على عقد الزواج! لقد كان يجري هائمًا ويقول: حقي رجع حقي رجع!

لم أفهم الشفرات التي كان يُلقي بها آنذاك، لكن ما أنا موقن به

تمام اليقين وواثق به تمام الثقة.. أن الأيام القادمة لن تمُرّ بسلام.

❋❋❋

كثيرًا ما تسمع نفيسة إلى دُعاة تحرير المرأة -دعاةِ هدم العمار- لا أدري ما بُغيتهم حين يهدمون البيوت؟ ويغرسون شرارة كُره تتعاظم يومًا بعد يوم إلى أن تصبح لهبًا لا تُستطاع السيطرة عليه فيفتك بالأسرة، ويقطع حبل العِشرة! الموضوع ليس بالهيّن.

ذات يوم دخلت على نفيسة أتحسّسُ خبرها وأطمئن عليها فوجدت صوت صراخ عظيم من داخل غرفتها!

- «قولي لا! نعم، كوني شجاعة! لا تكوني غبية تمشي وراءهم مثل البهائم! عندما يكلّمك بطريقة لا تليقُ بك اصفعيه على وجهه! كي يتعلّم ويتربى! كل الرجال أوغاد يا صديقتي، كلهم لم يتعلموا القدر الكافي من الأخلاق كي يتعاملوا معنا!

عزيزتي وصديقتي، همّي الوحيد هو مصلحتُكِ -وليس المبالغ الطائلة التي ألتهمها يوميًا جراء هدمي للبيوت- نعم! همي هو مصلحتُك فقط ولا شيء غير ذلك!

انظُري إليّ، حاولي أن تكوني مثلي! أعملُ مذيعة في أرقى القنوات، أفعل ما أشاء ولا يُملي عليّ أحد ما أفعل -باستثناء المخرج وهو

يلقنني هذه الكلمات لكي أهدم العلاقـات بطريقـة جيـدة- نعـم لا أحد يملي على ما أفعـل! أنـا امـرأة متحـرّرة، أنـا «سـترونج إنـدبنت وومن»».

❋❋❋

عزيزي القارئ، أحضر منديلا ونظّف عينيك التي رأيت بها هـذا الكلام.. أو نظف أذنك إن سمعته.

الجدير بالذكر أني عندما بحثت عن سيرة هذه المذيعة وجدتها لم تُقِم علاقة واحدة جيّدة في حياتها! كل العلاقات فشلت!

أعلم أنـه لا ينبغـي لي أن أتحـدّث في هـذه المواضـيع الشـائكة، ولكنّ هذه البرامج أمراضٌ يا عزيزي! أمراض ستدخل كل بيت مـن بيوتنا يومًا ما، إذا لم يكن دخولها اليوم، فستدخل غدًا، بعد غدٍ.. عدّ من الأيام ما شئت! المهم أنها ستدخل لا محالة.

لـيس لهـذه الأمـراض طبيـب يعالجهـا للأسـف، لم يكتشـف المجتمع أصلا أنها أوبئة معدية، لن تلبث إلا وستفتك بـالجميع! لا تقل خطرًا عن «كورونا» ولا عـن «الطـاعون» ولا عـن غيرهـا مـن الأوبئة الفتاكة بالبشر.

تلتهم المذيعة شهريًا ما يزيد على مليون دولار، وتستخف بعقول

المشاهدات، زاعمةً أن همها المصلحة العامة! هه المصلحة العامة.

***

- «نفيسة، حضّري نفسك.. رحلتنا بعد ساعتين!».

- «تخاطبني بصيغة الأمر مرة أخرى؟!».

- «أعتذر، هل يمكن أن أستشيرك في شيء يا جلالة الملكة؟!».

- «لا، اغرب عن وجهي».

- «كنت أريد أن أستشيرك ما إذا كنتِ تريدين الاستعداد لأن موعد رحلتنا قد اقترب! هل هي فكرةٌ جميلة؟».

- «للأسف، عقلك مصنعٌ خرِب، لا يصدّر الأفكار الجميلة يا عزيزي.. ماذا تريد الآن؟!».

- «هل يمكن أن تحضّري لنا حقائب السفر، هذا إذا أغدقت بكرمك علينا -جلالتك».

- «لقد جهّزتُ حقيبتي من الأمس بالفعل!».

- «حقًا؟! ولكن وماذا عني؟».

- «وما دخلي بك؟».

- «ألن آخُذ معي حقيبة؟».

- «مرةً أخرى أعيدها أيها الأحمق! وما دخلي بك؟ أليس لك يدان لعينتان؟ جهّز بها حقيبتك أو لا تُجهّزها.. لا أهتم لهذا الأمر كثيرًا».

- «ولكن كما تعلمين، أنا سأذهب لإحضار من يُقلّنا إلى المطار! لم يتبقّ إلا ساعتان فقط على الرحلة!».

- «ليس من واجبي أن أجهّز لك حقيبة السفر.. استأجر من يُجهّزها لك.. لا دخل لي بهذا».

- «حسَنًا إذًا».

***

## يستفاد

* تبادل الذكور والإناث الصفات، ومدحُ المرأة المسترجلة أدى بشكل غير مباشر إلى تكون علاقات هشّة.

* بعد انتشار الأفكار عن حقوق المرأة، أصبحنا نحتاج مؤسسات لحقوق الرجل.

* دعاة تحرير المرأة ما هم إلا دعاة لامتهانها وإلحاق الضرر بها.

* أصبح الجيل يُملى عليه ما يفعل من خلال الشاشات التي ترعرع عليها منذ الصغر.

# دفعة التابلت

عبد الرّحمن سيّد خلف

## وَما تزَال للقِصّة

## بَقيّة

نعم، لا تُقلّب في الكتاب باحثًا عن المزيد من الصفحات يا صديقي.. أعلم أنك هائم الآن، أدمنت كتابي وتريد قراءة المزيد!

انتهى الكتاب، ولكن لم تنتهِ القصة.. لم ينفد مداد قلمي بعد! تعال إليّ هناك!

اعبُر إلى الضفة الأخرى وسَل قاطنيها: أين أجد الجُزء الثاني من مذكرات مراهق؟

وأنا متيقّنٌ أنهم سينظرون إليك نظرة تفيدُ بأنك مجنونٌ أو ما شابه؛ فالجزء الثاني لم يَصدُر بعد، بل يُطبَخُ على نارٍ هادئة الآن.

تنتظرك أحداث مثيرة في الضفة الأخرى من هذه المذكرات، لا أريد أن أتوغّل في غمارها وأنت غيرُ موجود.

**عزيزك: راشد عوض الطاووس.**

# المحتويات

إهداء ........ ٥
المقدمة ........ ٧
السابعة صباحًا........ ١٣
أعزائي الطلاب ........ ٤٧
دب شارد........ ٨٧
سكن عُزاب ........ ١١٩
حمار متهور ........ ١٣٩
البحث عن دجاجة ........ ١٥٥
ابتسم للكاميرا........ ١٧٧
وما تزال للقصة بقية........ ٢٠١